العبادات الخفية

في حياة الشباب والفتيات

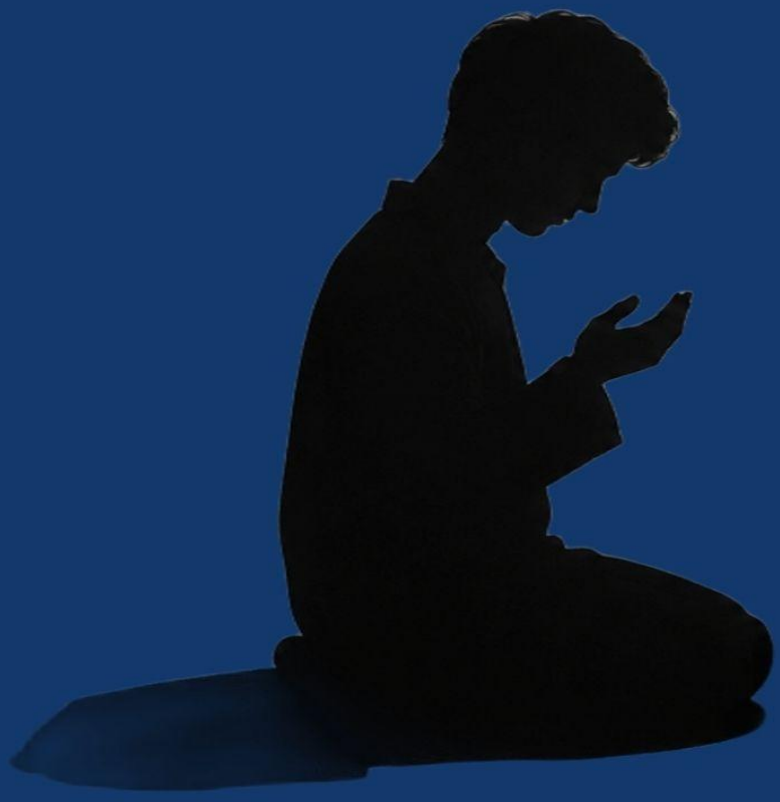

عدنان بن سلمان الدريويش

ⓒ عدنان سلمان الدريويش ، ١٤٤٨هـ

الدريويش ، عدنان بن سلمان
العبادات الخفية في حياة الشباب والفتيات. / عدنان بن سلمان الدريويش - ط١. .- الهفوف ، ١٤٤٨هـ
٢٠٠ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٨/٣٣٩٦
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٦-٨٦٣٦-٠

العبادات الخفية

في حياة الشباب والفتيات

عدنان بن سلمان الدريويش

الأحساء – المملكة العربية السعودية

وللحصول على نسخة الكترونية من الكتاب

تجدونها في حساباتي على المواقع الالكترونية

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الإخلاص روح الأعمال، وجعل صلاح القلوب أساس القبول، والصلاة والسلام على نبينا محمد، إمام المتقين، الذي ربَّى أصحابه على مراقبة الله في السر والعلن، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد...

فإن كثيرًا من الشباب والفتيات يحرصون على الأعمال الظاهرة التي يراها الناس؛ فيجتهدون في الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، وطلب العلم، وهي عبادات عظيمة لا يستغني عنها مسلم، ولكن هناك جانب آخر من العبودية لا يقل أهمية عنها، بل قد يكون أعظم أجرًا وأقرب إلى القبول، وهو جانب العبادات الخفية.

والعبادات الخفية هي كل عمل صالح يقصده المسلم ابتغاء وجه الله، ويكون خفيًّا عن أعين الناس أو خفيًّا في حقيقته، فلا يطلع على صدقه وإخلاصه إلا الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ (الأنعام: ٣)، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٢٩)، إنها عبادات تبقى خفية عن أعين الخلق، لكنها ظاهرة عند خالق الخلق، فقد يكون عملٌ صغير لا يعلم به أحد، سببًا في نجاة صاحبه يوم القيامة، كما كان شأن أصحاب الغار الذين لم يجدوا ما يتوسلون به إلى الله إلا أعمالًا خالصة أخفوها عن الناس، ففرَّج الله بها كربتهم.

ومن خلال التأمل في نصوص الكتاب والسنة، وجدت أن العبادات الخفية تشمل أبوابًا واسعة، من أهمها:

أولًا: العبادات القلبية، وهي أصل جميع الأعمال، ومنها: الإخلاص، والتوكل على الله، والرضا بقضائه، ومحبته سبحانه، والخوف منه، وسلامة الصدر، وحسن الظن بالله.

ثانيًا: عبادات الخلوات، وهي الأعمال التي يؤديها المسلم بعيدًا عن أعين الناس، مثل: قيام الليل، والدعاء في الأسحار، والاستغفار، وقراءة القرآن، والذكر.

ثالثًا: العبادات المالية، ومنها: صدقة السر، وكفالة الأيتام، وقضاء دين المعسر، والإنفاق على الأقارب المحتاجين، وتفريج كرب المحتاجين.

رابعًا: عبادات اللسان، ومنها: الذكر، والاستغفار، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب، والدلالة على الخير، والكلمة الطيبة، وترك الغيبة والنميمة.

خامسًا: العبادات الاجتماعية، ومنها: جبر الخواطر، والعفو وكظم الغيظ، والتغافل والتسامح، والإحسان إلى كبار السن، والرفق بالضعفاء والخدم.

أيها المبارك، لقد كتبت هذا الكتاب لأنني رأيت أن كثيرًا من الشباب والفتيات يظنون أن العبادة تقتصر على الصلاة والصيام، مع أن الإسلام جعل الحياة كلها ميدانًا للعبادة، ورأيت أن وسائل التواصل الاجتماعي دفعت بعض الناس إلى الاهتمام بالأعمال

الظاهرة، حتى أصبح الإنسان يوثق كثيرًا من أعماله، وينشرها، وربما نسي أن يجعل بينه وبين الله عملًا لا يطلع عليه أحد.

كما أن هذا العصر كثرت فيه الفتن، وتعددت وسائل المعصية، وأصبحت الخلوات أصعب من ذي قبل، فكان من المهم تذكير الشباب بأن الله يراهم حيث كانوا، وأن أعظم الانتصارات هي التي تتحقق عندما يغيب نظر الناس ويبقى نظر الله.

وليس المقصود من هذا الكتاب أن يدعو إلى إخفاء كل عمل، فإظهار بعض الطاعات قد يكون مشروعًا إذا قصد به التعليم أو التشجيع، ولكن المقصود أن يكون للمسلم نصيب ثابت من الأعمال التي لا يعلم بها إلا الله.

فيا أولادي، ليس المهم أن يعرف الناس أنك صالح، ولكن المهم أن يعلم الله أنك صادق، وليس النجاح الحقيقي أن تكثر إعجابات الناس وثناؤهم عليك، وإنما أن يرضى عنك رب الناس، فاجعل لك خبيئة لا يعلمها أحد، فلعل عملًا صغيرًا أخفيته عن الناس يكون أعظم عند الله من أعمال كثيرة رآها الخلق.

أسأل الله الكريم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به الشباب والفتيات، وأن يحيي به القلوب، ويعين على تزكية النفوس، ويغرس في الأمة حب الإخلاص، ومراقبة الله، والحرص على الأعمال التي لا يعلمها إلا هو، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

جمعه وأعده

عدنان بن سلمان الدريويش

الأحساء ٢٠٢٦م

الفهارس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الفهارس	٧
الباب الأول مدخل إلى العبادات الخفية	١٢
ما المقصود بالعبادات الخفية؟	١٣
أهمية العبادات الخفية في تزكية النفس	١٧
فضل الإخلاص وأهميته في قبول العمل	٢١
لماذا كان السلف يخفون أعمالهم؟	٢٥
الباب الثاني العبادات القلبية	٢٨
عبادة التوكل على الله	٢٩
عبادة الحمد والشكر على نعم الله	٣٣
عبادة الخوف من الله في السر	٣٧

عبادة الرضا بقضاء الله وقدره	٤١
عبادة حسن الظن بالله	٤٥
عبادة سلامة الصدر	٤٩
عبادة الإخلاص وتجديد النية	٥٣
عبادة محبة الله ورسوله	٥٦
الباب الثالث عبادات اللسان	٦٠
عبادة الاستغفار في الأسحار	٦١
عبادة الدعاء بظهر الغيب للمسلمين	٦٥
عبادة الذكر الخفي	٦٩
عبادة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	٧٣
عبادة العفو وكظم الغيظ	٧٧
عبادة حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة	٨١
عبادة ترك السخرية والاستهزاء بالناس	٨٥

الباب الرابع عبادات الخلوات	٨٩
عبادة البكاء من خشية الله	٩٠
عبادة الخبيئة الصالحة	٩٤
عبادة الدعاء في السحر	٩٨
عبادة المحافظة على الأذكار	١٠٢
عبادة ترك تتبع عورات الناس	١٠٦
عبادة صلاة الليل	١١٠
عبادة قراءة القرآن في الخلوات	١١٤
الباب الخامس العبادات المالية	١١٨
عبادة الإنفاق على الأقارب المحتاجين	١١٩
عبادة تفريج الكرب عن المحتاجين	١٢٣
عبادة صدقة السر	١٢٦
عبادة قضاء الدين عن المعسرين	١٣٠

عبادة كفالة اليتيم ١٣٤

الباب السادس العبادات الاجتماعية ١٣٨

عبادة الإحسان إلى كبار السن ١٣٩

عبادة الإصلاح بين الناس ١٤٣

عبادة التغافل والتسامح ١٤٧

عبادة الحياء والعفاف ١٥١

عبادة الدلالة على الخير ١٥٥

عبادة الرفق بالضعفاء ١٥٩

عبادة الستر على المسلمين ١٦٣

عبادة جبر الخواطر ١٦٦

الباب السابع عبادات متفرقة ١٧٠

عبادات لا تحتاج إلى مال ١٧١

عبادات لا تستغرق خمس دقائق ١٧٦

الباب الثامن صناعة العبادات الخفية ١٨١

رحلة عملية لصناعة عبادة الخفاء ١٨٢

الحرص على حسن الخاتمة ١٨٥

أخطاء تفسد العبادات الخفية ١٨٩

الخاتمة ١٩٤

المراجع ١٩٧

الباب الأول

مدخل إلى العبادات الخفية

ما المقصود بالعبادات الخفية؟

كثيرٌ من الشباب والفتيات إذا سمعوا كلمة "العبادة" انصرف ذهنهم إلى الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وهي بلا شك من أعظم العبادات، ولكنهم قد يغفلون عن لون آخر من الطاعات لا يقل شأنًا عنها، بل قد يكون أعظم أجرًا عند الله، لأنه يقوم على الإخلاص، ويبتعد عن الرياء، وهو العبادات الخفية.

لقد أصبح كثير من الناس في زمن وسائل التواصل الاجتماعي يحرصون على إظهار أعمالهم، فيصورون صدقاتهم، وينشرون عباداتهم، ويتحدثون عن إنجازاتهم، حتى كاد بعض الناس ينسى أن هناك أعمالًا لا ينبغي أن يعلم بها إلا الله، وهنا يأتي السؤال المهم: ما المقصود بالعبادات الخفية؟.

أيها الشباب، العبادات الخفية هي: كل عمل صالح يؤديه المسلم ابتغاء وجه الله، ويكون بينه وبين ربه، أو يغلب عليه الإخفاء والإخلاص، ولا يقصد به مدح الناس ولا ثناءهم، سواء كان عملًا قلبيًا، أو عبادة في الخلوة، أو إحسانًا خفيًا إلى الناس.

فقد تكون دمعة في جوف الليل، وقد تكون دعوة صادقة لأخيك بظهر الغيب، وقد تكون صدقة لا يعلم بها أحد، وقد تكون استغفارًا في السحر، وقد تكون كظمًا للغيظ، أو سترًا لمسلم، أو جبرًا لخاطر يتيم، أو إصلاحًا بين متخاصمين، وقد تكون سلامة صدر

تحملها في قلبك، فلا يعلم بها إلا الله، فالعبادات الخفية ليست نوعًا واحدًا، بل هي أبواب واسعة، يجمعها أمر واحد، وهو الإخلاص لله ومراقبته في السر والعلن.

يا أخي، وهذه العبادات سميت خفية، لأنها تقوم على معنى عظيم، وهو أن يكون الله وحده هو المقصود بالعمل، قال تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٧١)، وقال سبحانه: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف: ٥٥)، فالله يحب من عبده أن يناجيه، وأن يعمل له، ولو لم يره أحد من الناس.

أيها المبارك، يظن بعض الناس أن العبادات الخفية تعني فقط قيام الليل أو الدعاء في السحر، وهذا جزء منها، لكنها أوسع من ذلك، فقد تكون العبادة أمام الناس، ومع ذلك تكون خفية من حيث النية، فالمعلم الذي يخلص في تعليم طلابه لله، يمارس عبادة خفية، والطبيب الذي يرحم مرضاه ابتغاء وجه الله، يمارس عبادة خفية، والزوجة التي تخدم زوجها وأولادها بإخلاص لله، تمارس عبادة خفية، والشاب الذي يكظم غيظه، ويعفو عمن ظلمه، ويستر أخاه المسلم، قد أدى عبادة خفية لا يعلم مقدارها إلا الله، إذن فالعبرة ليست بمكان العبادة، وإنما بإخلاص القلب فيها.

أيها الشاب، إن من أعظم خصائص هذه العبادات أنها تبني علاقة خاصة بين العبد وربه، فالناس قد يمدحونك على عمل ظاهر، وقد ينسونك بعد أيام، أما الله فلا ينسى عملًا أخلصت فيه له، قال النبي صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم

لا ظل إلا ظله: " ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمينُه " متفق عليه، تأمل كيف بلغت هذه الصدقة منزلة عظيمة لأنها كانت بعيدة عن أعين الناس، قريبة من نظر الله.

يا غالي، لقد فهم السلف الصالح قيمة هذه الأعمال، فكانوا يخفون طاعاتهم كما يخفي الناس اليوم أموالهم، فقد كان علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله يحمل الطعام ليلًا على ظهره إلى بيوت الفقراء، ولا يعلمون من الذي يأتيهم به، فلما مات، فقدت تلك البيوت الطعام، فعرفوا أنه هو صاحب تلك الصدقات، ورأى الذين غسلوا جسده أثر الحبال على كتفيه من كثرة ما كان يحمل للفقراء في الليل.

وكان أيوب السختياني رحمه الله إذا تأثر عند سماع القرآن أو الموعظة، وأراد البكاء، صرف وجهه ومسح دموعه سريعًا، ثم قال لمن حوله: ما أشد هذا الزكام!، كراهية أن يراه الناس باكيًا فيمدحوه، وكان محمد بن واسع رحمه الله يقوم الليل طويلًا، فإذا أصبح، جلس بين الناس كأن شيئًا لم يكن، لا يحدث بقيامه، ولا ينتظر ثناء أحد.

يا أولادي، ليس النجاح الحقيقي أن يعرف الناس أسماءنا، وإنما أن يعرف الله أعمالنا، وليس الشأن أن تكثر الطاعات الظاهرة، وإنما أن يكون لك مع الله عمل لا يطلع عليه أحد، لذا فاجعل لك ركعتين في جوف الليل لا يعلم بهما إلا الله، واجعل لك دعوة بظهر الغيب لا يسمعها إلا الله، واجعل لك صدقة سر لا يعلمها إلا الله، واجعل في قلبك عفوًا لا يراه إلا الله، فرب عمل خفي، أخفيته عن الناس، كان أعظم عند الله من أعمال

كثيرة ملأت الأسماع والأبصار، واحرص أن يكون لك نصيب من هذه العبادات، فإنها زاد المؤمن في خلواته، وعنوان صدقه مع ربه، وقد تكون – بعد رحمة الله – سببًا في نجاتك يوم تلقى ربك.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

أهمية العبادات الخفية في تزكية النفس

إن أعظم مشروع يمكن أن ينجح فيه الإنسان في هذه الحياة ليس مشروعًا تجاريًا، ولا شهادةً علمية، ولا منصبًا وظيفيًا، وإنما مشروع إصلاح النفس وتزكيتها، فكم من إنسان نجح أمام الناس، لكنه خسر نفسه!، وكم من إنسان لم يعرفه الناس، لكنه نجح في تهذيب قلبه حتى أصبح من أولياء الله الصالحين.

ولذلك جعل القرآن الكريم تزكية النفس من أعظم أسباب الفلاح، لأن النفس إذا صلحت، صلح معها الفكر، واللسان، والأخلاق، والعلاقات، وسائر الأعمال، ومن أعظم وسائل تزكية النفس: العبادات الخفية، لأنها تربي القلب على الإخلاص، وتجعله متعلقًا بالله وحده، بعيدًا عن طلب ثناء الناس ومدحهم.

أيها الشباب، إن تزكية النفس تعني: تطهيرها من أمراض القلوب، كالكبر، والرياء، والحسد، والعجب، وحب الشهرة، وتربيتها على الإيمان، والإخلاص، والصبر، والرحمة، والخوف من الله، ومحبته، ولهذا بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ليقوم بهذه المهمة العظيمة، فقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٢)، فالتزكية تسبق العلم النافع، لأن القلب إذا صلح انتفع بالعلم والعمل.

أيها المبارك، هل سألت نفسك: لماذا كانت العبادات الخفية أعظم وسائل التزكية؟، لأن الإنسان إذا عمل العمل بعيدًا عن أعين الناس، لم يبق أمامه إلا مراقبة الله وحده، فالذي يقوم الليل والناس نيام، لا ينتظر تصفيقًا، والذي يبكي من خشية الله في خلوته، لا ينتظر إعجابًا، والذي يتصدق سرًا، لا ينتظر شكرًا، وهنا يتربى القلب على أعظم عبادة، وهي الإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥).

يا أخي، إن أخطر الأمراض ليست أمراض الأجساد، وإنما أمراض القلوب، فالرياء، والعجب، والكبر، والحسد، وحب المدح، أمراض قد تحبط الأعمال، والعبادات الخفية تعالج هذه الأمراض؛ لأن صاحبها لا يعمل من أجل الناس، وإنما من أجل الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم " رواه مسلم، فكلما ازداد اهتمام المسلم بقلبه، ازداد قربًا من الله.

أيها الشاب، قد يستطيع الإنسان أن يتجمل أمام الناس ساعات، لكنه لا يستطيع أن يخدع الله، فالإنسان الحقيقي هو الذي يكون في خلوته كما هو في جلوته، بل يكون في خلوته أشد مراقبة لله، قال بعض السلف: "إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك، فانظر فيما أقامك"، وقال آخر: "لا يكن الله أهون الناظرين إليك"، فمن حافظ على طاعة الله إذا خلا، حفظه الله إذا لقي الناس.

يا غالي، كان السلف يرون أن صلاح القلب هو رأس المال الحقيقي، كان الإمام الشافعي يقول: "وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم يُنسب إليَّ منه شيء"، وهذا من أعظم

صور تزكية النفس، إذ كان همه نفع الناس، وليس شهرة اسمه، وكان الإمام أحمد بن حنبل يخفي كثيرًا من نوافله، ويكره أن يطلع الناس على عبادته، لأنه يعلم أن القلب قد يفسده حب الثناء.

أيها الشباب، وللعبادات الخفية ثمار في تزكية النفس، ومنها:

أولًا: تحقيق الإخلاص، فكلما أكثر الإنسان من الأعمال التي لا يعلم بها إلا الله، ازداد إخلاصه، وضعف تعلقه بمدح الناس.

ثانيًا: قوة مراقبة الله، فالذي يترك المعصية في الخلوة لأنه يعلم أن الله يراه، قد بلغ منزلة عظيمة من الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الملك: ١٣).

ثالثًا: طمأنينة القلب، فمن كانت له خلوة مع الله، شعر بسكينة لا يجدها في ضجيج الدنيا، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

رابعًا: الثبات عند الفتن، فالقلب الذي تربى على العبادة في السر، يكون أقوى عند مواجهة الشهوات والشبهات، لأن علاقته بالله ليست مرتبطة برؤية الناس.

خامسًا: حسن الخاتمة، فمن عاش عمره يراقب الله في السر، كان أرجى أن يثبته الله عند الموت، ولهذا كان السلف يحرصون على أن يكون لهم عمل خفي يرجون به حسن الخاتمة.

يا أخي، احذر من العبادة التي لا تغيّر قلبك، فقد يكثر الإنسان من الأعمال، ولكن قلبه يبقى قاسيًا، ولسانه مؤذيًا، وتعاملاته سيئة، وهذا يدل على أنه اهتم بصورة العبادة، ولم يهتم بأثرها، لأن العبادة الحقيقية هي التي تغير أخلاق صاحبها، فإذا خرجت من الصلاة أكثر رحمة، ومن القرآن أكثر تواضعًا، ومن الصدقة أكثر إحسانًا، فقد بدأت النفس تتزكى، أما إذا بقي القلب كما هو، فليحاسب الإنسان نفسه، وليجدد إخلاصه.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، إذا أردتما أن تعرفا حقيقة إيمانكما، فلا تنظرا فقط إلى ما تفعلانه أمام الناس، بل انظرا إلى ما تفعلانه حين تغلق الأبواب، وتغيب الأنظار، ولا يبقى معكما إلا الله، واجعلوا لأنفسكم نصيبًا ثابتًا من العبادات الخفية، فإنها مدرسة الإخلاص، وميدان تزكية النفس، وعلامة صدق الإيمان، وكلما ازداد نصيبكم منها، ازداد صفاء قلوبكم، وقويت صلتكم بالله، وسهل عليكم الثبات على الطاعة حتى تلقوه وهو راضٍ عنكم.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

فضل الإخلاص وأهميته في قبول العمل

لو أنك سألت يومًا مجموعة من الشباب والفتيات عن أعظم ما يحتاجه العمل الصالح حتى يقبله الله، لأجابك بعضهم: كثرة الصلاة، أو كثرة الصيام، أو الصدقة، أو قيام الليل، وهذه كلها أعمال جليلة، لكنها لا تكون مقبولة إلا إذا بُنيت على أساس عظيم، وهو الإخلاص لله تعالى.

فقد يعمل الإنسان عملًا صغيرًا لا يلتفت إليه الناس، لكنه يُرفع عند الله إلى أعلى الدرجات، لأنه أخلص فيه النية، وقد يعمل آخر أعمالًا عظيمة، ويكثر من الطاعات، ثم لا يجد لها وزنًا عند الله؛ لأنه أراد بها ثناء الناس ومدحهم، ولذلك كان السلف يقولون: "رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية".

أيها الشباب، الإخلاص هو أن يقصد المسلم بعمله وجه الله وحده، فلا يعمل ليقال عنه صالح، أو كريم، أو عالم، أو متصدق، أو داعية، وإنما يعمل لأنه يرجو رضا الله وثوابه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، فالمؤمن الصادق يجعل حياته كلها لله، لا ينتظر ثناء الناس، ولا يحزن إذا لم يمدحه أحد، لأن غايته أن يرضى عنه ربه.

يا أخي، إن الصلاة بلا إخلاص مجرد حركات، والصدقة بلا إخلاص مجرد مال، والقراءة بلا إخلاص مجرد ألفاظ، أما إذا دخل الإخلاص في العمل، أصبح نورًا يرفعه الله، ويبارك فيه، ويجعل أثره باقياً، ولهذا بدأ الإمام البخاري صحيحه بحديث: " إنما الأعمال بالنيات"، إشارة إلى أن كل عمل لا يقوم على النية الصالحة فهو ناقص، وقد لا يكون مقبولًا عند الله.

أيها المبارك، هل سألت نفسك: لماذا كان السلف يهتمون بالإخلاص أكثر من اهتمامهم بالأعمال؟، لأنهم يعلمون أن الله لا ينظر إلى كثرة العمل، وإنما إلى صدق القلب، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "أحسن العمل: أخلصه وأصوبه، فإن كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا"، فالإخلاص شرط، واتباع السنة شرط، ولا يغني أحدهما عن الآخر، قال الحسن البصري رحمه الله: "لقد أدركت أقوامًا، كان أحدهم يَعمل العمل، فما يشعر به أقرب الناس إليه".

أيها الشاب، قد يصلي شابان الصلاة نفسها، ويقرآن السورة نفسها، ويركعان ويسجدان بالطريقة نفسها، ولكن الفرق بينهما عند الله قد يكون كالفرق بين السماء والأرض؛ لأن أحدهما صلى يريد وجه الله، والآخر صلى ليُمدح، وقد يتصدق رجل بدرهم مخلصًا، فيسبق به صاحب آلاف الدراهم الذي أراد بها السمعة، " جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ: أرأيتَ رجلًا غزا يلتمسُ الأجرَ والذِّكرَ، ما لَهُ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى

اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: لا شيءَ لَهُ فأعادَها ثلاثَ مرَّاتٍ، يقولُ لَهُ رسولُ اللَّهِ: لا شيءَ لَهُ ثمَّ قالَ: إنَّ اللَّهَ لا يقبلُ منَ العملِ إلَّا ما كانَ لَهُ خالصًا، وابتغيَ بِهِ وجهُهُ " رواه النسائي.

يا أخي، ومن العلامات التي تعين المسلم على محاسبة نفسه: أن يستوي عنده مدح الناس وذمهم إذا كان على الحق، وأن يفرح بقبول العمل أكثر من فرحه بثناء الناس، وأن يحب إخفاء الطاعة إذا أمكن، وأن يحزن على تقصيره بينه وبين الله أكثر من حزنه على فوات مدح الناس، وأن يجدد نيته كلما دخل في عمل صالح، وأن يحذر من الرياء.

أيها المبارك، إن أعظم ما يفسد الإخلاص هو الرياء، وهو أن يعمل الإنسان العمل ليراه الناس أو يسمعوا به، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال: " إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم يومَ القِيامةِ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهم: اذْهَبوا إلى الذين كنتُم تُراؤون في الدُّنيا، فانظُروا هل تَجِدون عِندَهُم جزاءً؟! " رواه أحمد، ولا يعني ذلك أن يترك الإنسان العمل خوفًا من الرياء، بل يجاهد نفسه على تصحيح النية، ويسأل الله الإخلاص.

أيها الغالي، وإذا أردت أن تحافظ على الإخلاص، أكثر من الدعاء بأن يرزقك الله الإخلاص، ثم اجعل لك عبادات لا يعلمها أحد، ولا تحدث الناس بكل طاعة تقوم بها، وتذكر أن مدح الناس لا ينفعك إذا لم يقبل الله عملك، ثم جدد نيتك قبل العمل وأثناءه وبعده، واقرأ سير المخلصين من السلف، فإنها تربي القلب على الإخلاص.

أيها الشاب، إذا أردت أن يكون لعملك وزن عند الله، فلا تشغل نفسك بمن يراك، بل اشغلها بمن يعلم سرك ونجواك، فإذا تصدقت، فلا تنتظر الشكر، وإذا دعوت إلى الله، فلا تنتظر الثناء، وإذا أصلحت بين الناس، فلا تنتظر أن يذكرك الناس في مجالسهم، واجعل شعارك دائمًا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩)، وتذكر أن أعظم ما يزكي العمل ليس كثرة الجهد، بل صدق النية، وأن العمل الذي لا يراه أحد من الخلق، قد يكون عند الله أعظم من أعمال تتناقلها الألسن، إذا كان خالصًا لوجهه الكريم.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

لماذا كان السلف يخفون أعمالهم؟

إذا تأملت حياة السلف الصالح، وجدت أمرًا يلفت النظر؛ فقد كانوا يكثرون من الطاعات، ولكنهم كانوا أشد حرصًا على إخفائها، فترى أحدهم يقوم الليل سنوات طويلة، فلا يعلم بذلك أقرب الناس إليه، ويتصدق آخر على الفقراء عشرات السنين، فلا يعرفه أحد، ويبكي ثالث من خشية الله، ثم يمسح دموعه حتى لا يشعر به من حوله، ولذلك يتساءل الشاب والفتاة: لماذا كانوا يخفون أعمالهم، مع أن العمل الصالح محمود، وقد يكون سببًا في تشجيع الناس؟، والجواب أن السلف لم يكونوا يخفون أعمالهم زهدًا في الخير، ولا كراهيةً لانتشاره، وإنما لأسباب متعددة منها:

أولًا: أنهم يعلمون أن الله ينظر إلى القلوب، كما قال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم " رواه مسلم، فكان همُّهم إصلاح القلب قبل تحسين الصورة أمام الناس، وكانوا يدركون أن الله يعلم السر وأخفى، فلا يحتاج العبد إلى أن يعرّف الناس بعمله، ما دام الله قد علمه وكتبه، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤).

ثانيًا: أنهم يخافون من الرياء، أكثر مما يخاف كثير من الناس من الوقوع في المعاصي الظاهرة، فالرياء قد يفسد العمل، ويذهب بثوابه، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر منه، فقال: " إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ

يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ " رواه أحمد، ولهذا كان أحدهم إذا وجد في قلبه ميلًا إلى مدح الناس، جاهد نفسه، وأخفى عمله حتى يسلم قلبه.

ثالثًا: لأن العمل الخفي أقرب إلى الإخلاص، فكلما ابتعد العمل عن أعين الناس، كان أقرب إلى صفاء النية، قال تعالى في شأن الصدقة: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: " ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمينُه " متفق عليه، فهذا الإخفاء لم يكن لذات الإخفاء فقط، بل لأنه يحفظ القلب من طلب المحمدة.

رابعًا: لأنهم كانوا يربون أنفسهم على مراقبة الله، فقد كان السلف يريدون أن تكون علاقتهم بالله قوية، سواء رآهم الناس أم لم يروهم، فإذا خلا أحدهم بنفسه، وجدته في صلاة، أو ذكر، أو استغفار، أو قراءة قرآن، لأنه يعلم أن الله يراه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق: ١٤)، وكانوا يقولون: من أصلح سريرته، أصلح الله علانيته.

خامسًا: لأنهم يرجون القبول لا الشهرة، فقد كان همُّهم: هل قُبل العمل؟، وليس: هل علم الناس به؟، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، وكانوا يخافون أن يعملوا أعمالًا كثيرة، ثم لا تُقبل بسبب فساد النية، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كانوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل"، فالعبرة ليست بكثرة الأعمال، وإنما بقبولها عند الله.

أيها المبارك، ليس كل عمل صالح يحتاج إلى أن تنشره، وليس كل طاعة تحتاج إلى أن يعلم بها من حولك، فقد أصبح بعض الناس يوثق كل عبادة، وكل صدقة، وكل قيام، وكل ختمة، حتى يُخشى على قلبه من التعلق بنظر الناس أكثر من تعلقه بنظر الله.

لذا اجعل لك رصيدًا لا يعلمه إلا الله: ركعات في آخر الليل، ودمعة صادقة في السحر، وصدقة سر، ودعوة بظهر الغيب، وكفالة محتاج لا يعرفك، وإصلاح بين متخاصمين دون أن تذكر اسمك، فهذه الأعمال هي التي تبني علاقتك بربك، وتربي قلبك على الإخلاص، وتكون زادًا لك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

يا أخي، لقد أخفى السلف الصالح أعمالهم، ولم يبحثوا عن الشهرة، لكن الله أظهر ذكرهم، وخلّد أسماءهم في كتب العلم، وعلى ألسنة الصالحين، وهذه سنة من سنن الله؛ فمن طلب وجه الله، كفاه الله مؤونة الناس، ومن أصلح سريرته، أصلح الله علانيته، لذا فاحرص أن يكون لك مع الله عمل لا يطلع عليه أحد، فإن الخبيئة الصالحة دليل على صدق المحبة، وصفاء القلب، ورجاء ما عند الله.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الباب الثاني

العبادات القلبية

عبادة التوكل على الله

في زمن كثرت فيه الأسباب، وتنوعت فيه الشهادات، والوظائف، والتقنيات، والعلاقات، أصبح كثير من الناس يظنون أن نجاحهم أو فشلهم معلق بهذه الأسباب وحدها، فتجد أحدهم يثق في منصبه أكثر من ثقته بربه، ويطمئن إلى رصيده المالي أكثر من اطمئنانه إلى فضل الله، ويعتمد على معارفه وعلاقاته أكثر من اعتماده على مولاه، وهنا يغفل كثير من الشباب والفتيات عن عبادة عظيمة من أجلِّ عبادات القلوب، وهي: عبادة التوكل على الله.

أيها الشباب، إن التوكل ليس كلمة تقال باللسان، ولا شعارًا يرفع عند الأزمات، بل هو عبادة قلبية عميقة تجمع بين الثقة بالله، والاعتماد عليه، وحسن الظن به، مع بذل الأسباب المشروعة وعدم إهمالها، ولهذا أخطأ فريقان من الناس: فريق اعتمد على الأسباب ونسي رب الأسباب، وفريق ترك الأسباب بحجة التوكل.

أما المؤمن الصادق فيجمع بين الأمرين: يأخذ بالأسباب بكل جد واجتهاد، وفي نفس الوقت يعلم أن النفع والضر بيد الله وحده، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:٢٣)، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق:٣)، أي كافيه وناصره ومؤيده، ولم يقل الله: ومن يتوكل على قوته، أو ماله، أو شهادته، أو معارفه، بل جعل الكفاية كلها مرتبطة بالتوكل عليه سبحانه.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، كم مرة أقلقتنا نتائج الاختبارات؟، وكم مرة أخافتنا مقابلات العمل؟، وكم مرة شغلتنا نظرة الناس إلينا؟، وكم مرة ظننا أن أرزاقنا وأحلامنا بيد البشر؟، ونسينا أن السبب الحقيقي لكثير من القلق والتوتر هو ضعف التوكل على الله، لكن إذا امتلأ القلب يقينًا بأن الله هو المدبر، وأن خزائن السماوات والأرض بيده، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، هدأت النفس واطمأن القلب وإن اشتدت الظروف.

أيها المبارك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الناس توكلًا على الله، ومع ذلك كان أعظمهم أخذًا بالأسباب، فقد هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ولم يقل: أنا متوكل على الله ولا أحتاج إلى تخطيط، بل اختار الرفيق، واستأجر الدليل الخبير بالطريق، واختبأ في الغار، ورتب أسباب الرحلة كلها، ثم كان قلبه معلقًا بالله وحده.

ولما أحاط المشركون بالغار، قال أبو بكر رضي الله عنه: " لو أنَّ أحَدَهم نَظَرَ تَحتَ قدَمَيه لَأبصَرَنا، فقال صلى الله عليه وسلم: ما ظَنُّكَ يا أبا بَكرٍ باثنَينِ اللهُ ثالِثُهما؟!" رواه البخاري، يا لها من كلمات صنعت الطمأنينة في أحلك الظروف!،وقال صلى الله عليه وسلم في فضل التوكل: " لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكُّله؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ: تغدوا خماصًا وتروح بطانًا "رواه الترمذي، تأملوا هذا الحديث: الطير لم تبق في أعشاشها تنتظر الرزق، بل خرجت وسعت وبذلت الأسباب، ثم رزقها الله، فالتوكل لا يعني الكسل، بل يعني العمل مع الاعتماد على الله.

يا أخي، كان السلف الصالح يحرصون على هذه العبادة الخفية أشد الحرص، فهذا سعيد بن جبير رحمه الله كان يقول: "التوكل جماع الإيمان"، وكان بعض السلف إذا نزلت به شدة أو ضاقت به الأسباب قال: "اللهم إن الناس قد أغلقوا أبوابهم دوني، وبابك لا يغلق"، وكانوا يرون أن أعظم الخسارة أن يتعلق القلب بالمخلوق أكثر من تعلقه بالخالق، هكذا يصنع التوكل في النفوس؛ يمنحها قوة عند الخوف، وثباتًا عند الفتن، وطمأنينة عند القلق.

أيها الشباب، إن من صور الغفلة عن هذه العبادة أن يظن الشاب أن مستقبله بيد شهادة يحملها، أو أن تظن الفتاة أن نجاحها بيد شخص يساعدها، أو أن يظن الإنسان أن رزقه متوقف على وظيفة أو تجارة أو مسؤول، وينسى أن التوكل عبادة لا تحتاج إلى مال، ولا إلى قوة جسدية، ولا إلى مكان معين، لكنها تحتاج إلى قلب يعرف ربه حق المعرفة.

فإذا أردت أن تنمي هذه العبادة في نفسك: أكثر من قراءة آيات التوكل في القرآن، وتعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته، وأكثر من الدعاء والاستعانة بالله، وخذ بالأسباب المشروعة كاملة، ولا تربط قلبك بالناس ولا بالماديات، وتذكر دائمًا أن ما عند الله خير وأبقى.

أيها الشباب والفتيات، إن كثيرًا من الناس يعيشون أعمارهم بين خوف من المستقبل، وقلق من الرزق، واضطراب بسبب الظروف، بينما يمتلكون كنزًا عظيمًا لو أحسنوا

استعماله لامتلأت قلوبهم سكينة وطمأنينة، ذلك الكنز هو التوكل على الله، فاجعلوا قلوبكم معلقة بربكم قبل تعلقها بالأسباب، واعملوا واجتهدوا وخططوا، لكن لا تنسوا أن فوق كل سبب مسببًا، وفوق كل تدبير تدبيرًا، وفوق كل قوة قوة الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله أن يرزقنا صدق التوكل عليه، وحسن الاعتماد عليه، وأن يجعل قلوبنا معلقة به وحده، وأن يكفينا بحلاله عن حرامه، وبفضله عمن سواه.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الحمد والشكر على نعم الله

ليست العبادة دائمًا صلاةً يراها الناس، ولا صيامًا يشاهدونه، ولا صدقةً يسمعون بها، فهناك عباداتٌ خفية، قد لا يلتفت إليها كثير من الناس، لكنها عند الله عظيمة القدر، جليلة الأجر، ومن أعظمها عبادة الحمد والشكر لله تعالى، إنها عبادة يعيشها القلب ويترجمها السلوك قبل أن ينطق بها اللسان.

ومع الأسف، فإن كثيرًا من الشباب والفتيات يعيشون بين بحرٍ من النعم، لكنهم لا يرون إلا ما ينقصهم، ينظر أحدهم إلى من يملك سيارةً أفخم، أو بيتًا أكبر، أو راتبًا أعلى، أو وظيفةً أرقى، أو شهرةً أوسع، فيشعر بالنقص، ويبدأ بالتذمر، وينسى أنه يملك نعمًا يتمناها ملايين البشر.

أيها الشاب، كم نعمة أصبحت لا تشعر بها؟، استيقظت هذا الصباح، وفتحت عينيك، وتنفست الهواء، ثم قمت على قدميك، توضأت ثم صليت الفجر في المسجد، بعدها رجعت للبيت، وجلست مع أسرتك، ثم خرجت إلى عملك أو جامعتك آمنًا مطمئنًا.

إن كل واحدة من هذه نعمٌ عظيمة، لكنها لكثرة تكرارها أصبحت عند كثير من الناس شيئًا عاديًا، ولو فقد الإنسان واحدةً منها، لأدرك قيمتها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢).

يا أخي، كم من مريض يتمنى أن ينام ليلةً بلا ألم، وكم من كفيف يتمنى أن يرى وجه أمه وأباه، وكم من مشلول يتمنى أن يمشي خطوات، وكم من لاجئ يتمنى وطنًا آمنًا يأوي إليه، وكم من جائع يتمنى كسرة خبز، وأنت قد جمعت كثيرًا من هذه النعم، ثم ربما قلت في نهاية يومك: "أنا غير سعيد!"، ليس لأن النعم قليلة، ولكن لأن الشكر قليل، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧).

إنها قاعدة ربانية لا تتخلف، فالزيادة ليست في المال وحده، بل في الصحة، والطمأنينة، والبركة، والمحبة، والعلم، والأبناء، والعمر المبارك، وقد تكون الزيادة في نعمةٍ لا تُشترى بثمن، مثل راحة القلب.

أيها المبارك، تأمل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فلما سئل:" غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تَأخَّرَ، قال: أفلا أكونُ عَبدًا شَكورًا " رواه البخاري، يا لها من كلمة!، لم يقل: عبدًا كثير الصلاة، ولا عبدًا كثير القيام، بل قال: "عبدًا شكورًا"، فجعل الشكر عنوان عبادته.

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: " مَن أصبحَ منكم آمنًا في سربِهِ، مُعافًى في جسدِهِ عندَهُ قوتُ يومِهِ، فَكَأنَّما حيزت لَهُ الدُّنيا " رواه الترمذي، تأمل هذه النعم الثلاث: الأمن، والعافية، وقوت اليوم، فكم من إنسان يملكها اليوم كلها، ثم يبيت حزينًا لأنه يقارن نفسه بمن هو أغنى منه!.

أيها الشاب، تأمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " انظروا إلى من هو أسفلَ منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم، فإنه أجدَرُ أن لا تزدَروا نعمةَ اللهِ عليكم " رواه ابن ماجة، إن كثيرًا من التعاسة اليوم عند الشباب والفتيات ليست بسبب نقص النعم، ولكن بسبب كثرة المقارنات، فأنت عندما تفتح شاشة هاتفك، فترى سفرًا، وسيارات، وقصورًا، وحفلات، ظننت أن الناس جميعًا يعيشون في نعيم، وأنك الوحيد المحروم، ولو رأيت غرف المستشفيات، ومخيمات اللاجئين، وأسر الفقراء، لخررت ساجدًا لله شكرًا.

كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله إذا رأى نعمة قال: "اللهم أعني على شكرك"، وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: "أكثروا من ذكر نعم الله، فإن ذكرها شكر"، وكان بعض السلف إذا أصبح قال: "ما أصبحتُ أرجو زيادةً في دنياي، ولكن أحمد الله أن أبقاني يومًا أذكره فيه"، فقد كانوا يرحمهم الله يرون أن مجرد الاستيقاظ نعمة تستحق الحمد.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، يظن بعض الناس أن الشكر هو أن يقول: "الحمد لله" ثم يعود إلى الإسراف، أو المعصية، أو التذمر، والحقيقة أن الشكر ثلاثة أمور: شكر بالقلب: وهو الاعتراف أن كل نعمة من الله، وشكر باللسان: وهو بالإكثار من الحمد والثناء، وشكر بالجوارح: وذلك باستعمال النعم فيما يرضي الله.

فالعين تشكر إذا غضت عن الحرام، والمال يُشكر إذا أُخرجت زكاته وتصدقت منه، والعلم يُشكر إذا علَّمته للناس، والصحة تُشكر إذا استُعملت في الطاعة، لذا جرِّب

الليلة أن تكتب عشرين نعمة أنعم الله بها عليك، من الصحة، ثم الأسرة، ثم الإسلام، ثم الأمن، ثم السمع، ثم البصر، ثم العقل، ثم الأصدقاء، ثم الماء، ثم الهواء، ثم القدرة على التعلم، وستكتشف أنك أغنى مما كنت تظن، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤).

فيا أخي، إن السعادة ليست في أن تملك كل شيء، وإنما في أن ترى ما تملك، وليس الغنى بكثرة الأموال، وإنما بغنى القلب، فإذا أردت أن تعيش حياة مطمئنة، فلا تبدأ يومك بالنظر إلى ما في أيدي الناس، ولكن ابدأه بقول: الحمد لله، قلها بقلب حاضر، وأنت تنظر إلى وجهك، وإلى والديك، وأهلك، ووطنك، وأمنك، وصحتك، وإسلامك، واعلم أن كل مرة تحمد الله فيها، فإنك تؤدي عبادة خفية قد يغفل عنها كثير من الناس، وترجو وعدًا عظيمًا من رب كريم: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الخوف من الله في السر

ما أسهل أن يكون الإنسان مستقيمًا أمام الناس!، وما أصعب أن يبقى مستقيمًا حين يغلق بابه، وينفرد بنفسه، ويغيب الرقيب البشري، وتصبح المعصية قريبة، ولا يراه أحد من الخلق، هناك وفي لحظات الخلوة يظهر الإيمان الحقيقي، وتنكشف حقيقة القلوب، فقد يصلي الإنسان مع الجماعة، ويبتسم في وجوه الناس، ويتحدث عن الفضيلة، لكن الامتحان الحقيقي يبدأ عندما يخلو بنفسه، فلا يراه إلا الله، فتبرز هنا عبادة عظيمة من أجلِّ عبادات القلوب، لكنها من أكثر العبادات خفاءً، وهي الخوف من الله في السر.

أيها الشباب، إن عبادة الخوف من الله في السر من أعظم القربات، لأنها دليل على أن القلب يراقب ويعظم الله حق التعظيم، وإن غابت أعين البشر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك:١٢)، تأمل هذا الوصف الجميل "بالغيب"، أي حين لا يراك أحد، ولا يعلم بك أحد، ولا يمنعك من المعصية إلا يقينك بأن الله يراك، وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات:٤٠).

أيها المبارك، إن بعضًا من الشباب والفتيات اليوم إذا غابت الرقابة عنهم تجرؤوا على ما كانوا يستحيون منه، فتجد من يظلم الناس إذا ضمن ألا يُحاسَب، ومن يغش إذا ظن أنه لن يُكشف، ومن يخون الأمانة إذا اطمأن إلى غفلة الآخرين، ومن يطلق بصره في الحرام

إذا أغلق هاتفه أو جلس وحده، ومن يكتب كلمات جارحة خلف شاشة يظن أنها تخفيه، ولو كان الخوف من الله حاضرًا في القلب، لما تغير السلوك باختلاف المكان.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، إن أعظم ما يحفظ الإنسان من المعصية ليس كثرة الكاميرات، ولا شدة الأنظمة، ولا رقابة الناس، وإنما مراقبة الله، فالذي يعلم أن الله يسمعه، ويراه، ويعلم سره ونجواه، يستحي أن يلقاه وهو يعصيه، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على هذه العبادة العظيمة، قال صلى الله عليه وسلم: " سَبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّه يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه..."، وذكر منهم: " ورَجُلٌ طَلَبَتْه امرَأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ، فقال: إنِّي أخافُ اللهَ " رواه البخاري.

تأمل لم يمنعه منها ضعف، ولا عجز، ولا خوف من الناس، إنما منعه خوفه من الله، وهذا هو الفرق بين من يترك المعصية لأنه لا يستطيعها، ومن يتركها وهو قادر عليها ابتغاء مرضاة الله، فكسب بذلك ثمرات هذه العبادة، ومنها: سلامة القلب، وحفظ الجوارح، والبعد عن الظلم، والطمأنينة بعد الطاعة، والأمن يوم القيامة.

يا أخي، جاء في حديث آخر قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، وكان أحدهم قد تمكن من ابنة عمه التي أحبها، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته قالت له: " يا عبدَ اللهِ اتقِّ اللهَ ولا تفتحِ الخاتَمَ إلا بحقِّه" رواه البخاري، فقام عنها، وترك المال الذي أعطاها، وانصرف خوفًا من الله، فكانت هذه العبادة الخفية سببًا في تفريج كربتهم، حتى انفرجت الصخرة وخرجوا يمشون، لأن الله سبحانه لا

يضيع من ترك شيئًا من أجله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّك لن تَدَعَ شَيئًا اتِّقاءَ اللهِ جَلَّ وعَزَّ إلَّا أَعْطاك اللهُ خَيْرًا مِنه" رواه أحمد.

أيها الشباب، كان السلف الصالح يخافون من الله في السر أكثر من خوفهم في العلن، فقد كان ثابت البناني رحمه الله يقول: "ما شيء أرجى عندي من عمل لا يطلع عليه إلا الله"، وكان محمد بن المنكدر إذا خلا بنفسه بكى، فقيل له: ما يبكيك؟، قال: "أخشى ذنبًا احتقرته، وهو عند الله عظيم"، أما الإمام أحمد بن حنبل فكان يقول: "الخوف يمنع القلب من التهاون"، ولذلك كانوا إذا أغلقوا أبوابهم لم يفتحوا أبواب المعاصي، بل فتحوا أبواب الطاعات.

ومن أعظم القصص في هذا الباب قصة الشاب الذي جاء إلى أحد السلف يطلب النصيحة، فقال له: "إذا أردت أن تعصي الله، فاعصه في مكان لا يراك فيه"، فسكت الشاب، ثم قال له: "وهل يوجد مكان لا يراني فيه الله؟"، قال: "فكيف تستحي من نظر الناس، ولا تستحي من نظر رب الناس؟"، فكانت كلمة هزت قلبه ووجدانه.

أيها الشاب، إذا خلوت يومًا بهاتفك، أو بجهازك، أو بمالك، أو بمنصبك، فتذكر أن هناك عينًا لا تنام، وربًا لا يغيب عنه شيء، فليس المقصود أن تخاف خوفًا يوقعك في اليأس، بل أن يكون خوفًا يدفعك إلى الطاعة، ويمنعك من المعصية، ويجعلك إذا زللت سارعت إلى التوبة.

فإذا أخطأت أسرع إلى الاستغفار، فمن جمع بين الخوف والرجاء سار إلى الله بقلب حي، لا يأمن مكر الله، ولا يقنط من رحمته.

نسأل الله أن يرزقنا خشيته في السر والعلن، وأن يجعلنا ممن إذا خلوا بمحارمه لم ينتهكوها، وإذا خلوا بطاعته عمروا خلواتهم بذكره، وأن يرزقنا قلوبًا تعظمه، وأعينًا تستحيي منه، ونفوسًا تراقبه في كل حين.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الرضا بقضاء الله وقدره

في حياة كل إنسان أحلام يتمناها، وأهداف يسعى إليها، ومستقبل يرسم له أجمل الصور، لكن الحياة لا تسير دائمًا كما نريد، فقد تتأخر أمنية، أو نفقد فرصة، أو نخفق في اختبار، أو نُحرم من أمر أحببناه، أو نصطدم بواقع لم نكن نتوقعه، وعند هذه المنعطفات يظهر معدن القلوب، وتتفاوت النفوس في تعاملها مع أقدار الله تعالى، فتجد من الناس من يستقبل القدر بالجزع والسخط والتذمر، ويعيش أسيرًا للحسرة والخوف والقلق.

وهناك من يستقبله بقلب مطمئن يعلم أن الله أرحم به من نفسه، وأن ما اختاره الله له خير مما اختاره لنفسه، هنا تتجلى عبادة عظيمة من أعظم العبادات الخفية، لكنها للأسف من أكثر العبادات التي يغفل عنها كثير من الناس، وهي: عبادة الرضا بقضاء الله وقدره.

أيها الشباب، إن الرضا ليس مجرد كلمات تقال عند المصائب، بل هو عبادة قلبية عميقة، يعيش بها المؤمن مطمئنًا في السراء والضراء، عالمًا أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (الحديد:٢٢)، وقال سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦).

فكم من شاب حزن على وظيفة لم تُكتب له، ثم اكتشف بعد سنوات أن الله ادخر له ما هو خير منها، وكم من فتاة تألمت لتأخر أمر كانت تتمناه، ثم رأت بعد حين أن الخير كان فيما اختاره الله لها، لكن المشكلة أن كثيرًا من الناس يريدون أن يروا الحكمة فورًا، فإذا لم تظهر لهم ضاقت صدورهم، وامتلأت قلوبهم بالاعتراض الخفي أو التذمر المستمر.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، ليس معنى الرضا أن تترك السعي والعمل، أو أن تستسلم للواقع، بل الإسلام يأمر بالأخذ بالأسباب وبذل الجهد والاجتهاد، لذا: ادرس واجتهد، واعمل وخطط، وابحث عن الفرص، واسع لتحقيق أهدافك، لكن بعد أن تبذل السبب، سلّم النتيجة لله، وارض بما يختاره لك، فالعبد مسؤول عن السعي، أما النتائج فهي بيد الله.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: " يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ "رواه الترمذي، إن هذا الحديث لو استقر في القلب لذهب كثير من الخوف والقلق الذي يعيشه الشباب اليوم.

يا أخي، إن الوظائف ليست هي التي ترزق، والشهادات ليست هي التي تعطي، والناس ليسوا هم الذين يمنعون أو يمنحون، وإنما الجميع أسباب، أما المعطي والمانع والرازق

والمدبر فهو الله سبحانه وتعالى، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الرضا حتى بعد وقوع المصائب، فقال: " المُؤمِنُ القَويُّ خَيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خَيرٌ، احرِصْ على ما يَنفَعُكَ، واستَعِنْ باللهِ ولا تَعجِزْ، وإن أصابَكَ شَيءٌ فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعَلتُ كان كَذا وكَذا، ولَكِن قُلْ: قدَرُ اللهِ وما شاءَ فعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ" رواه مسلم،

كم من شباب اليوم يعيشون أسرى لكلمة "لو": لو دخلت ذلك التخصص، لو قبلت تلك الوظيفة، لو تزوجت فلانة، لو سافرت إلى المكان الفلاني، لو لم يحدث كذا، فيستنزفون أعمارهم في مراجعة ما مضى، وينسون أن ما مضى قد كُتب وانتهى.

أيها المبارك، تأمل حال السلف الصالح فقد تربوا على الرضا واليقين، فهذا الصحابي الجليل عروة بن الزبير رحمه الله أصيب بمرض شديد في ساقه حتى اضطر الأطباء إلى بترها، ثم مات أحد أبنائه في اليوم نفسه، فماذا قال؟، قال كلمات خلدها التاريخ: "اللهم لك الحمد، كانوا سبعة فأخذت واحدًا وأبقيت ستة، وكان لي أربعة أطراف فأخذت طرفًا وأبقيت ثلاثة"، فهو لم ينظر إلى ما فقد، بل نظر إلى ما بقي، ولذلك امتلأ قلبه شكرًا ورضًا.

وهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يقول: "أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر"، أي أنه بلغ من الرضا أن أصبح يفرح بما يختاره الله له، لا بما يختاره هو لنفسه، وكان بعض السلف يقول: "من لم يرض بقضاء الله أتعب نفسه، ولم يغير من القدر شيئًا"،

فالرضا لا يغير الأقدار، لكنه يغير القلوب، ولا يزيل المصائب، لكنه يزيل مرارتها، ولا يمنع الابتلاء، لكنه يجعل صاحبه أقوى على تحمله.

أيها الشباب، إن من أعظم ثمار الرضا أن يعيش الإنسان مطمئنًا، لا تقتله المقارنات، ولا يستنزفه الحسد، ولا يقلقه المستقبل، لأنه يعلم أن رزقه مكتوب، وأجله معلوم، وأن ربه أرحم به من نفسه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ذاقَ طَعمَ الإيمانِ مَن رَضيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمُحَمَّدٍ رَسولًا "رواه مسلم، إنه طعم لا يعرفه إلا من امتلأ قلبه باليقين.

أيها الشباب والفتيات، كم من طاقة نفسية نهدرها في الاعتراض على ما مضى، والخوف مما سيأتي، وكم من أجور عظيمة تضيع علينا بسبب الغفلة عن عبادة الرضا، فاجعلوا قلوبكم معلقة بحكمة الله قبل تعلقها بالأسباب، وأحسنوا الظن بربكم، واعلموا أن أقدار الله كلها خير للمؤمن، وإن خفيت الحكمة في بعض الأحيان، فرب منعٍ كان عين العطاء، ورب تأخير كان عين التقديم، ورب ابتلاء كان طريقًا إلى أعظم النعم.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة حسن الظن بالله

هناك عبادة عظيمة لا تحتاج إلى مال، ولا إلى سفر، ولا إلى جهدٍ بدني، ولكنها تحتاج إلى قلبٍ يعرف ربَّه حق المعرفة، عبادةٌ لا يراك الناس وأنت تؤديها، ولا يسمعون صوتها، لكنها تُكتب في صحائفك من أجلِّ القربات، لأنها عملٌ قلبيٌّ خالص، لا يطَّلع عليه إلا الله، هي من أعظم العبادات الخفية.

وللأسف، فإن كثيرًا من الشباب والفتيات يغفلون عنها، مع أنها ترافق الإنسان في كل مراحل حياته، عند الفرح والحزن، وعند النجاح والفشل، وعند الصحة والمرض، وعند الإقدام والإحجام، إنها عبادة يعيشها القلب قبل أن ينطق بها اللسان، إنها عبادة حسن الظن بالله.

أيها الشباب، كم من شاب تأخر في الحصول على وظيفة، فقال في نفسه: يبدو أن الله لن يفتح لي بابًا!، وكم من فتاة تأخر زواجها، فأصابها اليأس، وظنت أن الخير قد فاتها، وكم من طالب أخفق في اختبار، فاعتقد أن مستقبله قد انتهى، وكم من تاجر خسر في مشروع، فظن أن أبواب الرزق قد أغلقت، هذه ليست مجرد خواطر عابرة، بل هي في كثير من الأحيان صورة من صور إساءة الظن بالله، الذي ينافي كمال التوكل واليقين، أما المؤمن فإنه يعلم أن وراء كل تأخير حكمة، ووراء كل منع عطاء، ووراء كل ابتلاء رحمة قد لا يدركها إلا بعد سنوات.

أيها المبارك، جاء في الحديث القدسي: " يقولُ اللهُ تَعالى: أنا عِندَ ظَنِّ عَبدي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني " رواه البخاري، تأمل هذا الوعد، كلما عظُم ظنك بربك، ازداد نصيبك من معيته وتوفيقه ولطفه، فمن ظن بالله الرحمة وجد الرحمة، ومن ظن بالله الفرج رأى الفرج، ومن أحسن الظن بربه لم يخيبه الله أبدًا، قال الإمام ابن القيم رحمه الله:" أكثر الناس يظنون بالله غير الحق، ظن السوء، وإنما ينجو من ذلك من عرف الله بأسمائه وصفاته"، فكلما ازداد الإنسان معرفة بربه، ازداد حسن ظنه به.

يا أخي، إن من الأخطاء الشائعة أن يظن بعض الشباب أن حسن الظن بالله يعني انتظار النجاح دون دراسة، أو انتظار الرزق دون سعي، أو انتظار الزواج دون أسباب، وهذا فهم خاطئ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس حسنًا للظن بربه، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب كاملة.

ففي الهجرة اختبأ في الغار، واستأجر دليلًا للطريق، وهيأ الزاد، ثم قال لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)، فجمع بين كمال الأخذ بالأسباب وكمال الثقة بالله، وقال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سكرات الموت:" لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل" رواه مسلم.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، إذا أصاب الإنسان مرض، أو فقد عزيزًا، أو ضاقت عليه الدنيا، بدأ الشيطان يهمس: لماذا أنا؟، ولماذا حدث لي هذا؟، وهل تخلى الله عني؟، وهنا

يأتي الامتحان الحقيقي، هل سيبقى القلب متعلقًا بربه، أم سيستسلم لسوء الظن؟، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥).

ولنا في سلفنا الصالح قدوة، فقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "والذي لا إله غيره، ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله"، وقال سعيد بن جبير رحمه الله: "لو يئست من شيء لرجوت الله فيه"، وكان بعض السلف إذا اشتدت به الكروب يقول: "اللهم إن حسن ظني بك قد غلب ذنوبي، فلا تخيب رجائي"، حتى كانوا يرحمهم الله يرون أن أعظم أبواب الفرج أن يمتلئ القلب ثقةً بالله قبل أن تتغير الظروف.

أيها المبارك، وحتى تربي نفسك على هذه العبادة: أكثر من معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته، واقرأ قصص الفرج في القرآن والسنة، وتذكر نعم الله السابقة عليك، ولا تفسر كل تأخير بأنه حرمان، وصاحب المتفائلين الواثقين بالله، وأكثر من الدعاء، فإن الدعاء يحيي حسن الظن بالله.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، إن الشيطان لا يكتفي بإيقاعكم في المعاصي، بل يريد أن يزرع في قلوبكم اليأس والقنوط وسوء الظن بالله، فإياكم أن تمنحوه هذا الانتصار، ثقوا بربكم، فهو أرحم بكم من أمهاتكم، وهو أعلم بمصالحكم من أنفسكم، وأكرم مما تتصورون، وأعظم عطاءً مما تحلمون.

واجعلوا شعاركم في كل شدة: لن يختار الله لي إلا الخير، وإن خفي عليَّ وجه الحكمة اليوم، فسأراه غدًا، فربّ العالمين يملأ بهذه العبادة القلب سكينةً، والحياة طمأنينةً، والمستقبل أملاً، والآخرة فوزًا ورضوانًا.

أسأل الله أن يرزقنا حسن الظن به في السر والعلن، وأن يرزقنا قلوبًا تعظمه، وأعينًا تستحيي منه، ونفوسًا تراقبه في كل حين.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة سلامة الصدر

كم من إنسان ينام على فراش وثير، لكن انشغاله بالناس لا يجعله يذوق طعم الراحة!، وكم من آخر يملك مالًا وجاهًا، لكنه يحمل في صدره همومًا وأحقادًا وحسدًا، فلا يعرف للسعادة طريقًا، وفي المقابل، تجد مسلمًا بسيطًا، ربما لا يملك من الدنيا إلا القليل، لكنه يعيش بقلبٍ مطمئن، وصدرٍ منشرح، لأنه لا يحمل على أحدٍ غلًّا، ولا حسدًا، ولا يتمنى زوال خير عن غيره، إنها عبادة سلامة الصدر، تلك العبادة الخفية التي لا يراها الناس، ولكن يراها الله، ويعلم ما في القلوب.

أيها الشباب، إن الإسلام لم يعتنِ بظاهر الإنسان فقط، بل أولى عناية عظيمة بقلبه؛ لأنه مصدر الأقوال والأعمال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا إن في الجسدِ مضغةً إذا صلَحتْ صلَحَ لها سائرُ الجسدِ وإذا فسدتْ فسد لها سائرُ الجسدِ ألا وهي القلبُ " رواه البخاري، فإذا صلح القلب، صلح اللسان، واستقامت الأخلاق، وحسنت المعاملة، وسهل العفو، وزال الحسد والغل، وقال سبحانه في وصف نعيم أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧)، تأمل، من نعيم الجنة أن الله يطهر القلوب من كل حقد وضغينة، والمؤمن يجاهد نفسه ليذوق شيئًا من هذا النعيم في الدنيا قبل الآخرة

يا أخي، إن سلامة الصدر نعمة عظيمة، فليس المقصود بها أن تكون ضعيف الشخصية، أو أن تتنازل عن حقوقك، أو أن ترضى بالظلم، بل هي أن تطالب بحقك بالعدل، دون حقد أو انتقام أو تشفٍّ، وأن تعذر الناس فيما يحتمل العذر، فإذا أخطأ أخوك قلت: لعلَّه نسي، ولعلَّه لم يقصد، ولعلَّه لم يفهم، ولعلَّه يمر بظرف صعب، أما أن تفسر كل كلمة بأسوأ الاحتمالات، فهذا يفسد القلوب، ويقطع العلاقات.

ولهذا أثنى الله على المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)، فانظر كيف دعوا لأنفسهم بالمغفرة، ثم سألوا الله أن يطهر قلوبهم من الغل، لأن القلب إذا سلم، سلمت الحياة كلها.

أيها المبارك، كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: "وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولم يُنسب إليَّ منه شيء"، فأي قلب هذا الذي يفرح بانتفاع الناس، ولا يطلب الشهرة لنفسه؟، وكان بعض السلف يقول: "ما رأيت شيئًا أهون من سلامة الصدر، أن تنام وليس في قلبك غش لأحد"، وكانوا رحمهم الله يرون أن أعظم العقوبات أن يبيت الإنسان وقلبه ممتلئًا بالحسد والضغينة.

أيها الشباب، في زمن وسائل التواصل أصبحت المقارنات أكثر من أي وقت مضى، فأنت ترى صور السفر، والسيارات، والبيوت، والنجاحات، فتبدأ النفس بالمقارنة، وقد يظن الإنسان أن الناس يعيشون حياة كاملة، فيحزن على نفسه، لكن المؤمن يعلم أن ما

عند الله خير وأبقى، وأن الناس لا ينشرون إلا أجمل لحظاتهم، أما ما يخفونه من ابتلاءات فلا يعلمه إلا الله، لذا احفظ قلبك من الحسد، وأكثر من قول: "اللهم بارك لهم، وارزقني من فضلك".

يا أخي، وحتى تكون سليم الصدر: أكثر من الدعاء بأن يطهر الله قلبك، والتمس الأعذار للناس قبل أن تحكم عليهم، ولا تتعجل في إساءة الظن، ولا تجعل كل خلاف سببًا للقطيعة، وأكثر من الدعاء لإخوانك بظهر الغيب، وافرح بنجاح الآخرين كما تفرح لنجاحك، وتذكر أن الدنيا قصيرة، فلا تستحق أن تحمل فيها قلبًا مثقلًا بالأحقاد.

فيا ولدي، إن من أعظم النعم أن تلقى الله بقلب سليم، فكم من ركعات أثقلها الرياء، وكم من صدقات أفسدها المنّ، أما القلب السليم، فهو كنز لا يطلع عليه إلا الله، لذا سامح من أساء إليك، واعفُ على من أخطأ، وادعُ لمن ظلمك بالهداية، واطلب حقك بالحكمة والعدل، دون أن تجعل الكراهية تسكن قلبك.

فإن القلب إذا امتلأ بالإيمان، ضاق عن الحسد، وإذا امتلأ بمحبة الله، اتسع للناس جميعًا، ولعل أعظم ما تهديه لنفسك، قبل أن تهديه لغيرك، أن تعيش بصدرٍ سليم، وقلبٍ نقي، ونفسٍ راضية، فتفوز براحة الدنيا، وثواب الآخرة.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الإخلاص وتجديد النية لله

في حياة الشباب والفتيات أعمال كثيرة تتكرر كل يوم؛ دراسة، وعمل، ونوم، وطعام، ورياضة، وقراءة، وزيارات، وتواصل مع الناس، وكثير منا يمارس هذه الأعمال على أنها عادات يومية لا أكثر، ثم يمضي اليوم وينتهي دون أن يربح منه إلا ما حققه من مصالح دنيوية، لكن المؤمن الواعي يملك سرًّا عجيبًا يستطيع به أن يحوّل هذه الأعمال نفسها إلى عبادات وقربات وأجور متجددة، ذلك السر هو: الإخلاص لله تعالى وتجديد النية.

أيها الشباب، إن الإخلاص عبادة خفية لا يراها الناس، ولا تُقاس بالمظاهر، ولا تُلتقط لها الصور، وإنما محلها القلب الذي لا يطلع عليه إلا الله، ولذلك كان السلف الصالح يعدّون إصلاح النية من أشق الأعمال على النفوس، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة:٥)، والنبي صلى الله عليه وسلم جعل الإخلاص أساس قبول الأعمال كلها فقال: "إِنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإِنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى " رواه البخاري، فهذا الحديث العظيم يبين أن العمل الواحد قد يرفعه الإخلاص إلى أعلى الدرجات، وقد يهوي به فساد النية إلى أسفل الدركات.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، كم من ساعات قضيناها في الدراسة دون أن نستحضر نية نفع المسلمين وخدمة المجتمع؟ وكم من أعمال منزلية أو وظيفية قمنا بها دون أن ننوي بها طاعة الله؟ وكم من أوقات الراحة والنوم والطعام مرت علينا دون أن نجعلها عونًا على

العبادة؟، لقد ضيّع كثير منا أبوابًا واسعة من الحسنات بسبب الغفلة عن النية، فالطالب إذا نوى بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه وخدمة دينه ووطنه ومجتمعه أصبح طلبه للعلم عبادة، والموظف إذا نوى بإتقانه للعمل أداء الأمانة وخدمة الناس كان في عبادة.

ومن تناول الطعام بنية التقوي على الطاعة أُجر على طعامه وشرابه، بل حتى نوم المسلم إذا نوى به الاستعانة على قيامه وعبادته كتب له فيه أجر، قال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: " إِنَّكَ لَن تُنفِقَ نَفَقَةً تَبتَغي بها وجهَ اللهِ إلَّا أُجِرتَ عليها، حتَّى ما تَجعَلُ في فَمِ امرَأتِكَ "رواه البخاري، فإذا كانت اللقمة التي يضعها الإنسان في فم زوجته يؤجر عليها بالإخلاص، فكيف بسائر أعمال الحياة؟.

أيها المبارك، كان السلف الصالح شديدي العناية بهذه العبادة الخفية، قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: "ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي؛ لأنها تتقلب عليّ"، حتى كانوا يفتشون عن نياتهم أكثر مما يفتش كثير من الناس اليوم عن أعمالهم، فقد كان أيوب السختياني رحمه الله يقول: "تخليص النيات على العاملين أشد من جميع الأعمال"، ومن القصص المؤثرة ما روي عن داود الطائي رحمه الله أنه كان يخفي كثيرًا من عباداته حتى عن أقرب الناس إليه، خوفًا من أن يدخل قلبه شيء من حب المدح والثناء.

ولم يكن اهتمام السلف الصالح بالإخلاص مقتصرًا على الصلاة والصيام، بل كان يشمل تفاصيل الحياة كلها؛ لأنهم أدركوا أن القلب هو موضع نظر الله تعالى، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر

منهم: " ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا ففاضَت عَيناه "رواه البخاري، لأن العمل كلما كان أبعد عن أعين الناس وأقرب إلى الإخلاص كان أرجى للقبول.

يا أخي، إن من أجمل ما يتعلمه الشاب والفتاة أن يبدأ يومه بسؤال نفسه: لماذا أفعل هذا العمل؟، وهل أريد به وجه الله؟، وهل يمكن أن أحول هذه العادة إلى عبادة؟، لأننا بإخلاص العمل لله وتجديد النية تتحول: الدراسة إلى عبادة، والعمل إلى عبادة، والرياضة إلى عبادة، وصلة الرحم إلى عبادة، وكسب الرزق إلى عبادة، بل يصبح اليوم كله ميدانًا للأجور والحسنات.

ولذلك فإن الخسارة الحقيقية ليست في قلة الأعمال، وإنما في قلة الإخلاص فيها، فقد يعمل شخصان العمل نفسه، ويقضيان الوقت نفسه، لكن بينهما في الأجر كما بين السماء والأرض بسبب النية، لذا فلنجعل من تجديد النية عادة يومية، ولنتعاهد قلوبنا قبل أعمالنا، فإن الله لا ينظر إلى صورنا ولا إلى مظاهرنا، وإنما ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة محبة الله ورسوله

في حياة الشباب والفتيات مشاعر كثيرة تتجه نحو أشياء متعددة؛ فهناك حب الوالدين، وحب الأبناء، وحب الأصدقاء، وحب الشهرة، وحب المال، وحب المقتنيات، بل قد يتعلق القلب أحيانًا بأشخاص أو عادات أو شهوات تستنزف الفكر والمشاعر والوقت، والحب في ذاته فطرة أودعها الله في النفوس، لكن السؤال الذي ينبغي أن يسأله كل شاب وفتاة: من يحتل المكانة الأولى في قلبي؟ ومن يستحق أعظم نصيب من المحبة؟.

أيها الكرام، إن كثيرًا من الشباب والفتيات يغفلون عن عبادة عظيمة من أجلِّ عبادات القلوب، وهي: محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد ينشغل المرء بطاعات كثيرة، لكنه لا يلتفت إلى تنمية هذه العبادة الخفية التي هي روح الإيمان وأساس الاستقامة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة:١٦٥).

فالمؤمن الصادق لا يحب الله حبًّا عاديًا، بل يكون حب الله في قلبه أعظم من كل حب، وأقوى من كل تعلق، وأبقى من كل علاقة، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:٢٤)، فالآية هنا لا تنهى عن حب الوالدين أو الأبناء أو

الأموال، فهذه محبة فطرية مشروعة، لكنها تحذر من أن تتقدم هذه المحاب على محبة الله ورسوله، فتقود الإنسان إلى التفريط في أوامر الله أو الوقوع في معاصيه.

أيها الشاب، تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ "رواه مسلم، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: " يا رَسولَ اللهِ، لَأنتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيءٍ إلَّا مِن نَفسي، فقال النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا، والذي نَفسي بيَدِه، حتَّى أكونَ أحَبَّ إليك مِن نَفسِك، فقال له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللهِ لَأنتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفسي، فقال النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: الآنَ يا عُمَرُ" رواه البخاري، لقد فهم عمر رضي الله عنه أن كمال الإيمان لا يكتمل حتى يتصدر حب الله ورسوله جميع المحاب.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، انظروا إلى واقع الناس اليوم؛ كم من قلب امتلأ بحب الشهرة حتى صار همه رضا الناس أكثر من رضا الله؟ وكم من قلب استُعبد للمال حتى أصبح يجمعه ولو على حساب دينه؟ وكم من شاب أو فتاة تعلقت قلوبهم بعلاقات محرمة أرهقت النفوس وأضعفت الإيمان؟ وكم من إنسان أحب عادة أو شهوة حتى أصبح أسيرًا لها؟، فالقلب لا يبقى فارغًا؛ فإن لم يملأ بمحبة الله امتلأ بغيره.

أيها المبارك، كان السلف الصالح يدركون هذه الحقيقة، لذلك كانوا يجاهدون أنفسهم على تعظيم محبة الله في قلوبهم، فهذا الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه، لما اشتد به المرض في آخر حياته، قالت زوجته: "واحزناه!" فقال: "وافرحاه! غدًا ألقى

الأحبة محمدًا وصحبه"، فقد كان قلبه رضي الله عنه معلقًا بمحبة الله ورسوله وأصحابه صلى الله عليه وسلم، وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول: "من أعطي قلبًا متعلقًا بالله فقد أوتي خيرًا كثيرًا"، أما الحسن البصري رحمه الله فكان يقول: "من عرف ربه أحبه"، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ونعمائه ورحمته ازداد حبًا له وتعظيمًا وشوقًا إليه، ولذلك فإن محبة الله ليست دعوى باللسان، وإنما لها علامات تظهر على الجوارح والسلوك.

يا أخي، إن من علامات محبة الله: الحرص على الصلاة، وحب القرآن وتلاوته، وكثرة ذكر الله، وتقديم أوامر الله على هوى النفس، والبعد عن المعاصي وإن زينتها الشهوات، ومحبة الصالحين ومجالس الخير، ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم: معرفة سيرته، والإكثار من الصلاة عليه، والاقتداء بأخلاقه، والدفاع عن سنته، وتقديم هديه على الأهواء والعادات.

ومن أعظم ثمرات هذه العبادة الخفية ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مِمَّا سِواهُما ....." رواه البخاري، فالسعادة الحقيقية ليست في كثرة المال، ولا في كثرة المتابعين، ولا في المظاهر الزائلة، وإنما في تلك الحلاوة التي يضعها الله في قلب مسلمٍ امتلأ قلبه بمحبة الله ورسوله.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، اجعلوا لهذه العبادة نصيبًا من اهتمامكم، وجدّدوا محبة الله في قلوبكم كل يوم بقراءة القرآن، والتفكر في النعم، ومعرفة أسماء الله الحسنى، ودراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكثرة الصلاة عليه.

واعلموا أن القلب إذا امتلأ بمحبة الله صغرت أمامه الشهوات، وخفَّت عليه الطاعات، ووجد في العبادة لذة لا يعرفها إلا من ذاقها، فأخطر خسارة في حياة المسلم، أن يمتلئ قلبه بمحبة كل شيء إلا الله، وأن يعيش عمره كله يبحث عما يسعده، بينما أعظم أسباب السعادة تسكن بين ضلوعه: محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله أن يجعل محبته ومحبة رسوله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلينا، وأن يرزقنا صدق اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يملأ قلوبنا بمحبة لا تزول في الدنيا، وتكون سببًا للفوز برضوانه وجنته في الآخرة.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الباب الثالث

عبادات اللسان

عبادة الاستغفار في الأسحار

في آخر الليل، وحين تخفت الأصوات، وتسكن الطرقات، وتغلق الهواتف، وعندما ينام أكثر الناس بعد ساعات طويلة قضوها بين الشاشات، ومقاطع الفيديو، ومنصات التواصل، وأخبار المشاهير، هناك عبادٌ آخرون من شباب وفتيات، قاموا من فرشهم، وتوضؤوا في هدوء، ووقفوا بين يدي رب العباد، ثم ختموا ليلتهم بكلمات قليلة، لكنها عظيمة عند الله: "أستغفر الله... أستغفر الله... أستغفر الله".

إنها عبادة خفية لا يراها أحد، لكنها تُكتب في صحائف أصحابها نورًا ورحمةً ومغفرة، إنها عبادة الاستغفار في الأسحار، قال سبحانه في وصف المتقين: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧)، وكأن الله يلفت أنظارنا إلى أن هذا الوقت ليس وقت نومٍ فقط، بل وقت قربٍ من الله.

أيها المبارك، هل سألت نفسك: لماذا السحر؟، هل الجواب: لأن الله لا يسمع دعاءنا في غيره!!، فالله يسمع دعاء عباده في كل وقت، ولكن الجواب: لأن هذا الوقت اختاره الله ليكون من أشرف ساعات الليل، قال تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: ١٧-١٨)، تأمل، قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، علامة على أن الاستغفار في هذا الوقت من علامات أهل الإيمان، وقال صلى الله عليه وسلم: " يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيلةٍ إلى

السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدعوني، فأستَجيبَ له؟ مَن يَسألُني فأُعطيَه؟ مَن يَستَغفِرُني فأغفِرَ له؟" رواه البخاري، يا لها من دعوة عظيمة!، ملك الملوك ينادي عباده كل ليلة: هل من مستغفر؟، فكم من شاب وفتاة استحضر هذا النداء بقلبه؟، وكم من شغل ليله بسهرة طويلة، أو متابعة مسلسل، أو تصفحٍ لا ينتهي؟.

أيها الشباب، كثير من الشباب والفتيات يبحثون عن التوفيق في الدراسة، وفي الوظيفة، وآخرون ينتظرون الزواج، ومنهم من أثقلته الديون، وأنهكته الهموم، ولو علموا ما في الاستغفار من الخير، لجعلوا لهم منه نصيبًا كل ليلة، قال الله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ (هود: ٥٢)، وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠-١٢)، فالاستغفار ليس لمحو الذنوب فقط، بل هو باب للبركة والرزق والفرج.

يا أخي، كان نبينا صلى الله عليه وسلم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يكثر من الاستغفار، يقول: " واللهِ إنِّي لَأستَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليَومِ أكثَرَ مِن سَبعينَ مَرَّةً " رواه البخاري، وفي رواية أخرى أنه كان يستغفر مائة مرة في اليوم، فإذا كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف بحالنا نحن؟.

وكان الإمام الحسن البصري رحمه الله إذا سُئل عن كثرة الاستغفار قال: "أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة"، وكان بعض السلف إذا دخل وقت السحر أيقظ أهل بيته، ويقول: "قوموا إلى سوق الآخرة"، لأنه يعلم أن هذه الدقائق لا تعوض، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحيي آخر الليل بالصلاة والدعاء والاستغفار، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الشباب، إن من أعظم خسائر هذا الزمان أن كثيرًا من الشباب يسهرون حتى قبيل الفجر، ولكن ليس في قيام الليل، ولا في الاستغفار، وإنما أمام شاشةٍ لا تنتهي، فكم من ساعات أُهدرت!، وكم من مغفرة فاتت!، وكم من دعوات لم تُرفع!، وكم من أبواب خير أُغلقت بسبب الغفلة!.

قال صلى الله عليه وسلم: " سَيِّدُ الاستِغفارِ أن تَقولَ: اللهُمَّ أنتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنتَ، خَلَقتَني وأنا عَبدُكَ، وأنا على عَهدِكَ ووَعدِكَ ما استَطَعتُ، أعوذُ بك مِن شَرِّ ما صَنَعتُ، أبوءُ لك بنِعمَتِك عَلَيَّ، وأبوءُ لك بذَنبي، فاغفِرْ لي؛ فإنَّه لا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، قال: ومَن قالها مِنَ النَّهارِ موقِنًا بها، فماتَ مِن يَومِه قَبلَ أن يُمسيَ، فهو مِن أهلِ الجَنَّةِ، ومَن قالها مِنَ اللَّيلِ وهو موقِنٌ بها، فماتَ قَبلَ أن يُصبِحَ، فهو مِن أهلِ الجَنَّةِ" رواه البخاري.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، إن الحياة ليست بعدد الساعات التي عشناها، وإنما بما ملأناها من الطاعات، لذا اجعلوا آخر يومكم ينتهي بالاستغفار بين يدي الله، واعلموا

أن الاستغفار في الأسحار عبادة خفية لا يعلمها الناس، لكنها معلومة عند رب الناس، تكون بها الذنوب مغفورة، والدرجات مرفوعة، والهموم مكشوفة، والقلوب مطمئنة، فطوبى لمن جعل له في كل سحر موعدًا مع الاستغفار، فإن دقائق السحر قد تغيِّر حياة الإنسان في الدنيا، وتكون سببًا في نجاته يوم يلقى الله.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الدعاء بظهر الغيب للمسلمين

هناك أعمال صالحة وعباداتٌ خفية لا يعلم بها إلا الله، ترفع صاحبها في أعلى المنازل، لأنها دليل على صفاء القلب، وسلامة الصدر، وصدق الإيمان، ومن أجمل هذه العبادات وأعظمها أثرًا الدعاء بظهر الغيب للمسلمين، وهي أن تدعو لأخيك وهو لا يعلم، أو أن ترفع يديك في جوف الليل لمريض لا يعرف اسمك، أو أن تبكي في سجودك لأيتام وأرامل، وفقراء، ومظلومين، ومجاهدين، ومكروبين لم تلتق بهم يومًا.

هذه عبادة لا يسمعها الناس، لكنها تصل إلى السماء، ويكتبها الله في ميزان الحسنات، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ ﴾ (الحشر: ١٠).

يا أخي، هناك من الشباب والفتيات من يشاهد مقاطع كل يوم عن صور الحروب، واللاجئين، والمرضى، والفقراء، والمنكوبين، ثم ينتقلون إلى المقطع التالي، وكأن شيئًا لم يكن، يشاهدون الألم، لكنهم ينسون أن يحملوا للمصابين سلاح المؤمن الذي لا يُمنع في أي زمان أو مكان، إنه الدعاء بظهر الغيب.

فما أجمل أن تكون رحمةً لمجتمعك ووطنك ولأمتك، فليس كل واحد يملك مالًا ينفقه، ولا قوةً يدافع بها، ولا منصبًا يغيّر به الواقع، لكن كل مسلم يملك لسانًا يستطيع أن

يقول: اللهم فرِّج هم المهمومين، ونفّس الكرب عن المكروبين، اللهم اشفِ مرضى المسلمين، وأطعم جائعهم، وآوِ مشردهم، اللهم انصر المظلومين والمستضعفين، قد تبدو كلمات قليلة، لكنها عند الله عبادة عظيمة.

أيها الشباب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما مِن عَبدٍ مُسلِمٍ يَدعو لأخيه بظَهرِ الغَيبِ، إلَّا قال المَلَكُ: ولَكَ بمِثلٍ " رواه مسلم، تأمل هذا الفضل العظيم، كلما دعوت لمسلم، قال الملك: ولك بمثل، فإن دعوت له بالشفاء، يقول الملك: ولك مثل ذلك، دعوت له بالرزق، فيقول: ولك مثله، دعوت له بالهداية، فيقول: ولك مثلها، فأي تجارة أربح من هذه؟، إنك تدعو لغيرك، فيعود الخير إليك قبل أن يصل إليه.

أيها المبارك، إن الإسلام يريد أن يخرج المسلم من دائرة "أنا"، إلى دائرة "نحن"، يريد من المسلم والمسلمة أن يفرح لفرح المسلمين، ويتألم لألمهم، وأن يدعو لهم كما يدعو لنفسه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى " متفق عليه، فإذا كان الجسد يتألم لجرحٍ في إصبع، فكيف لا يتألم قلب المؤمن لمآسي أمته؟، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحشر: ١٠)، فهذه الآية تجمع بين الدعاء للمؤمنين، وسلامة القلب لهم، وقال تعالى على لسان المؤمنين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤١)، فالمؤمن لا يقف دعاؤه عند نفسه، بل يتجاوزها إلى أمته كلها.

يا أخي، كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: "ما صليت صلاةً إلا دعوت للشافعي"، وكان الإمام الشافعي يدعو لمن علمه، ولمن أحسن إليه، ويكثر من الدعاء لإخوانه المسلمين، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: "إني لأدعو لسبعين من إخواني، أسميهم بأسمائهم"، وكان بعض السلف يجعل في سجوده جزءًا من دعائه للمؤمنين، ويقول: "لعل الله أن يجعل لي من دعائهم نصيبًا، أو يكتب لي مثل ما دعوت لهم"، لقد كانت قلوبهم حانية وواسعة وصادقة ورحيمة.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، في عصرنا الحاضر، كم نرى من طفل فقد والديه، ومن أمٍّ تبحث عن لقمة لأولادها، ومن مريض ينتظر الشفاء، ومن فقير ينتظر الفرج، ومن أسير ينتظر الحرية، ومن لاجئ يتمنى وطنًا آمنًا، قد لا تستطيع الوصول إليهم، لكن دعاءك يصل، وقد يكون سببًا في رحمةٍ ينزلها الله عليهم، أو فرجٍ يكتبه لهم، والله سبحانه قادر على كل شيء.

أيها الشاب، لا تجعل الأخبار تميت قلبك، فتكرار رؤية المآسي قد يجعل القلب يعتادها، وهذا من أخطر ما يصيب المسلم، فإذا رأيت خبرًا مؤلمًا، فلا تكتفِ بالحزن، قف لحظة، وارفع يديك، وقل: "اللهم كن لإخواننا عونًا ونصيرًا"، بهذا تتحول مشاهدة الخبر إلى عبادة، وتتحول الدموع إلى حسنات، لذا اجعل لنفسك عادة يومية: بعد كل صلاة ادعُ لنفسك وأسرتك وأقاربك ولأصدقائك وللمسلمين أجمعين، وفي سجودك خصَّ منهم المرضى والمبتلين.

وإذا رأيت فقيرًا فادعُ له، وإذا سمعت عن كارثة فادعُ لأهلها، وإذا بلغك خبر وفاة مسلم فادعُ له بالمغفرة، واجعل آخر دعائك كل ليلة: "اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات"، بهذه الدقائق القليلة تكتب لنفسك أجورًا عظيمة، وتربي قلبك على الرحمة، قال صلى الله عليه وسلم: " مَنِ استغفَر للمؤمنين والمؤمناتِ كتَب اللهُ له بكلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ حسنةً " رواه الطبراني.

يا أولادي، ليس أعظم الناس من يعيش لنفسه فقط، بل أعظمهم من يحمل همَّ مجتمعه وأمته، ولو بدعوة صادقة في جوف الليل، قد لا يعرفك أولئك المرضى، ولا الفقراء، ولا المنكوبون، لكن الله يعلم أنك دعوت لهم، والملك يؤمِّن على دعائك، وربما كان دعاؤك سببًا في تفريج كربة، أو شفاء مريض، أو هداية ضال، أو رحمة تنزل على مسلم في أقصى الأرض، فلا تستصغر هذه العبادة الخفية، فإن الدعاء بظهر الغيب ليس كلماتٍ تُقال، بل قلبٌ امتلأ رحمةً، ولسانٌ تعلَّم أن يعيش لأمته، وروحٌ أدركت أن المؤمن الحقيقي لا ينسى إخوانه، ولو فرَّقت بينهم القارات.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الذكر الخفي

بعض العبادات تحتاج إلى مسجد، وإلى وضوء، وإلى مكانٍ خاص، وهناك عبادة تستطيع أن تؤديها وأنت تمشي، أو تقود سيارتك، أو تنتظر موعدًا، أو وأنت تجلس في قاعة الدراسة، أو تمارس رياضتك، أو قبل أن تنام، أو بعد أن تستيقظ، إنها عبادة لا تكلف مالًا، ولا تحتاج جهدًا، ولا تستغرق وقتًا طويلًا، ومع ذلك فهي من أعظم القربات إلى الله، إنها عبادة ذكر الله في السر "الذكر الخفي".

ذكرٌ لا يسمعه الناس، ولكن يسمعه رب الناس، ذكرٌ يرفع صاحبه عند الله درجات، ويملأ قلبه نورًا، ويثقل ميزانه بالحسنات، ومع الأسف، فإن كثيرًا من الشباب والفتيات يعيشون اليوم ساعاتٍ طويلة بين الهاتف، ومقاطع الفيديو، ورسائل التطبيقات، ومتابعة المشاهير، والتنقل بين الأخبار والصور، حتى أصبحت أوقات الفراغ تُستهلك كلها، بينما يغيب عنها ذكر الله.

أيها المبارك، هل سألت نفسك يومًا؟: كم دقيقة ذكرت فيها ربك هذا اليوم؟، وكم مرة أمسكت هاتفك اليوم؟، كم مرة كررت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ورب اغفر لي، واللهم صل وسلم على نبينا محمد، فقد تمر علينا ساعات طويلة لا يتحرك فيها اللسان إلا بكلام الناس، بينما يغفل عن ذكر رب الناس، وهنا تكمن الخسارة الحقيقية.

أيها الشاب، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، فالقلب لا يشبع من المال، ولا من الشهرة، ولا من المتابعين، ولا من الإعجابات، إنما يشبع من ذكر الله، ولهذا ترى بعض الناس يملك كل شيء، لكنه مضطرب النفس، وترى آخر لا يملك كثيرًا من الدنيا، لكنه يعيش سكينةً يعجز المال عن شرائها، لأن قلبه عامر بذكر الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى، قالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعالى قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ" رواه الترمذي، تأمل، لم يقل كثرة الكلام؟، ولا كثرة الانشغال، ولا كثرة المتابعة، بل قال: ذكر الله.

أيها الشباب، هناك كنوز لا تحتاج إلا إلى لسان ذاكر، فلا تضيعها، ومنها: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَلِمَتانِ خَفيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الميزانِ، حَبيبَتانِ إلى الرَّحمَنِ: سُبحانَ اللهِ العَظيمِ، سُبحانَ اللهِ وبحَمدِه " رواه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم: " لأن أقولَ: سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ للَّهِ، ولا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ؛ أحَبُّ إليَّ ممَّا طَلَعَت عليه الشَّمسُ " رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: " مَن قال: سُبحانَ اللهِ وبحَمدِه، في يَومٍ مِائةَ مَرَّةٍ، حُطَّت خَطاياه وإن كانَت مِثلَ زَبَدِ البَحرِ" رواه البخاري، فكم من الكنوز تمر علينا كل يوم، ونحن منشغلون بما لا ينفع.

أيها الشاب، كان أبو هريرة رضي الله عنه يقسم الليل ثلاثة أقسام: جزءًا للصلاة، وجزءًا للنوم، وجزءًا لمراجعة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله، وكان محمد بن واسع رحمه الله يكثر من الذكر حتى قال عنه من عرفه: "ما رأيناه إلا ولسانه رطب بذكر الله"، وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: "اطلبوا حلاوة الإيمان في ثلاثة: في الصلاة، وفي الذكر، وفي تلاوة القرآن"، فقد كان السلف رحمهم الله يرون أن الغفلة عن الذكر بداية قسوة القلب، وأن كثرة الذكر بداية حياة القلب.

أيها المبارك، اجعل لك وردًا يوميًا لا تتركه مهما كانت ظروفك: أذكار الصباح والمساء، التسبيح مائة مرة، الاستغفار مائة مرة، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ذكر الله أثناء القيادة والانتظار والمشي، ستكتشف بعد أيام أن قلبك أصبح أهدأ، وهمومك أخف، وروحك أقرب إلى الله.

فيا أخي، إن أعمارنا أقصر من أن تُستهلك كلها في التمرير بين الشاشات، والحسنات أثمن من أن تضيع في دقائق الغفلة، فإذا وجدت نفسك تمسك هاتفك بلا حاجة، فتذكر أن لسانك يستطيع في اللحظة نفسها أن يبني لك قصورًا في الجنة، وأن يثقل ميزانك، وأن يمحو ذنوبك، وأن يطمئن قلبك، فاجعل لسانك رطبًا بذكر الله، فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها ذكر الله.

واعلم أن الذكر الخفي عبادة لا يصفق لها الناس، ولا يتحدثون عنها، لكنها عند الله من أحب الأعمال، وأعظمها أثرًا في القلب، وأبقاها أجرًا في الميزان، فلا تحرم نفسك هذا الكنز العظيم، ولا تجعل الشاشات تسرق منك دقائق لو ملأتها بذكر الله، لكانت من أثقل ما تلقى به ربك يوم القيامة.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

هناك عباداتٌ يستطيع الإنسان أن يعيشها وهو وحده، لا يراه أحد، ولا يسمع صوته أحد، لكنها تبلغ عند الله منزلةً عظيمة، عباداتٌ لا تحتاج إلى مكانٍ مخصوص، ولا إلى وقتٍ محدد، ولا إلى جهدٍ شاق، ومن أجلِّ هذه العبادات، عبادة الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الخلوات، إنها عبادة يغفل عنها كثير من الشباب والفتيات، مع أنها لا تستغرق إلا ثواني معدودة، لكنها تملأ الصحائف بالحسنات، وتقرِّب العبد من محبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتفيض على القلب نورًا ومحبةً وطمأنينة.

قال صلى الله عليه وسلم: " ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ: أن يَكونَ اللهُ ورَسولُه أحَبَّ إليه ممَّا سِواهما، وأن يُحِبَّ المَرءَ لا يُحِبُّه إلَّا للَّهِ، وأن يَكرَهَ أن يَعودَ في الكُفرِ كما يَكرَهُ أن يُقذَفَ في النَّارِ" رواه البخاري.

يا أخي، أصبحت الخلوات في هذا الزمان تمتلئ بأصوات المقاطع، ورسائل التطبيقات، وأخبار المشاهير، والتنقل بين الصفحات، حتى صار الهاتف رفيق الإنسان في كل لحظة، فإذا جلس وحده أمسك هاتفه، وإذا انتظر موعدًا فتح شاشة هاتفه، وإذا ركب سيارته شغل ما يملأ وقته، وقلَّ أن يخلو بنفسه فيذكر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام عليه، وهنا تضيع أجورٌ عظيمة، كان يمكن أن تُكتب في دقائق قليلة.

أيها المبارك، هل سألت نفسك: لماذا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؟، لأنها ليست مجرد كلمات تُقال باللسان، بل هي إعلان محبة، ووفاء، وشكر لمن كان سببًا بعد الله في هدايتنا إلى الإسلام، فكيف لا نكثر من الصلاة عليه، وهو الذي بلَّغ الرسالة، ونصح الأمة، وتحمل الأذى، حتى وصل إلينا هذا الدين صافياً نقياً؟.

إن المحب يكثر من ذكر محبوبه، فكيف إذا كان المحبوب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، تأمل هذا النداء الكريم، الله سبحانه يأمر المؤمنين بالصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويخبر قبل ذلك أن الله وملائكته يصلون عليه، ليزداد المؤمن شوقًا إلى هذه العبادة، وإحساسًا بعظيم مكانتها.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَن صَلَّى عليَّ واحِدةً صَلَّى اللهُ عليه عَشرًا " رواه مسلم، فيا لها من تجارة رابحة!، أنت تقول: اللهم صل وسلم على محمد، فيصلي الله عليك عشر صلوات؛ أي يثني عليك في الملأ الأعلى، ويرحمك، ويزيدك فضلًا، فأي فضلٍ أعظم من هذا؟، وقال صلى الله عليه وسلم: " إنَّ أولى النَّاسِ بي يَومَ القيامةِ أَكْثرُهُم عليَّ صلاةً " رواه الترمذي، فإذا كنت تتمنى أن تكون قريبًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فأكثر من الصلاة والسلام عليه في الدنيا، فالقرب هناك ثمرة المحبة هنا.

يا أخي، ومن أعظم الأحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء في صحيح الترغيب: " أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ أَجْعَلُ ثُلُثَ صَلاتِي عليكَ؟ قال: نَعَمْ إنْ شِئْتَ، قال: الثُّلُثَيْنِ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَصَلاتِي كلَّها ؟ قال رسولُ اللهِ: إذا يَكْفيكَ اللهُ ما أَهَمَّكَ من أَمْرِ دُنْياكَ وآخِرَتِكَ "، فكم من شاب أثقلته الهموم!، وكم من فتاة أقلقتها المخاوف!، وقد كان بين أيديهم سببٌ عظيم من أسباب تفريج الكروب، لكنهم غفلوا عنه.

وإن أجمل ما في هذه العبادة أنك تستطيع أن تؤديها حيث لا يراك أحد، تؤديها وأنت تقود سيارتك، وأنت تنتظر في المطار، وأنت تمشي إلى عملك، وأنت تقوم من نومك، وأنت بعد الفجر، وأنت في آخر الليل، فكلها لحظات يمكن أن تتحول إلى أنهارٍ من الحسنات، ولهذا كانت من العبادات الخفية التي لا يدخلها الرياء، لأنها بين العبد وربه.

أيها الشباب، كان الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله يُكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى أنها من أعظم أسباب صلاح القلب، وقال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: "لو لم يكن لي من عملي إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لرجوت بها الخير"، وكان الإمام الشافعي رحمه الله يفتتح كثيرًا من مجالسه وكتبه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويكثر منها في دعائه، امتثالًا لأمر الله وتعظيمًا لحق رسوله صلى الله عليه وسلم.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، إن كثيرًا من الخلوات تضيع في متابعة ما لا ينفع، بينما يستطيع المؤمن أن يحولها إلى بساتين من الأجور، فإذا خلوت بنفسك، فلا تجعل أول أنيسٍ لك شاشة الهاتف، بل اجعل لسانك يلهج بالصلاة والسلام على نبيك صلى الله عليه وسلم، فكل صلاةٍ تصليها عليه تعود عليك رحمةً من الله، ورفعةً في الدرجات، ومغفرةً للذنوب، وبركةً في العمر والعمل، واعلم أن هذه العبادة دليل على محبةٍ صادقة، واتباعٍ مخلص، وتعظيمٍ لخير البشر.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة العفو وكظم الغيظ

كم من مسلم يحرص على الصلاة والصيام والنوافل، لكنه إذا أغضبه أحد، أو أساء إليه قريب أو صديق، انفجر غضبًا، وأطلق لسانه، وربما قاطع وهجر وانتقم، وكأن عبادته توقفت عند حدود المسجد، ولم تصل إلى أخلاقه وتعامله مع الناس، ونسي عبادة خفية يغفل عنها كثير من الشباب والفتيات وهي: عبادة العفو وكظم الغيظ.

فهي عبادة لا يراها الناس، ولا تُقاس بعدد الركعات، ولا بطول القيام، وإنما يعرفها الله حين يمتلئ القلب غضبًا، وصاحبه يستطيع أن ينتقم، ثم يختار العفو ابتغاء مرضاة الله، قال صلى الله عليه وسلم: " ما مِن جَرعةٍ أعظمُ أجرًا عندَ اللَّهِ، من جَرعةِ غيظٍ كظمَها عبدٌ ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ " رواه ابن ماجة.

أيها الشاب، هل سألت نفسك: لماذا نعجز عن العفو؟، والجواب: لأن النفس بطبيعتها تحب الانتصار، وتجد في الانتقام راحةً مؤقتة، لكن المؤمن ينظر إلى الأمر بمنظار آخر، فهو يعلم أن ما عند الله أعظم، وأن لحظةً يكظم فيها غيظه قد ترفعه درجات عند الله لا يبلغها بكثير من الأعمال، ولهذا مدح الله أهل الإيمان بقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، تأمل هذه الآية، لم يقل: الذين لا يغضبون، لأن الغضب شعور فطري، وإنما مدح من يكظم غضبه، ثم يرتقي إلى منزلة

أعلى وهي العفو، ثم إلى منزلة أعظم وهي الإحسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وما زادَ اللهُ عَبدًا بعَفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَه اللهُ " رواه مسلم.

أيها المبارك، يظن بعض الناس أن العفو ضعف، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن العفو لا ينقص صاحبه، بل يزيده الله رفعةً وعزةً في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: " مَن كَظَمَ غيظًا وهو قادرٌ على أن يَنْفِذَه دعاه اللهُ عزَّ وجلَّ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرَه اللهُ مِن الحُورِ ما شاءَ " رواه أبوداود، فأي تجارة أعظم من أن تكظم غضبًا لثوانٍ، فيكون جزاؤك هذا الفضل العظيم؟.

أيها المبارك، ما عرف التاريخ قائدًا عفا عن أعدائه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعندما دخل مكة فاتحًا، بعد سنوات من الإيذاء والطرد والحروب، وقف أهل مكة ينتظرون القصاص، وكان يستطيع أن ينتقم منهم جميعًا، لكنه عفا عنهم صلى الله عليه وسلم، فدخل كثير منهم في الإسلام، لأن العفو فتح قلوبهم قبل أن يفتح مدينتهم، لقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم أن القلوب تُملك بالإحسان أكثر مما تُملك بالعقوبة.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: "إذا بلغك عن أخيك ما تكره، فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا، فقل: لعل له عذرًا لا أعلمه"، وهذا من أعظم أسباب كظم الغيظ، لأن كثيرًا من الخلافات سببها سوء الفهم، ويروى أن الإمام زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله شتمه رجل، فالتفت إليه وقال بهدوء: "إن كنتَ صادقًا فيما قلتَ، فغفر الله

لي، وإن كنتَ كاذبًا، فغفر الله لك"، فبكى الرجل، وقبّل رأسه، وقال: بل أنا أحق بهذا الدعاء، هكذا كان العفو يحول الأعداء إلى أحباب.

أيها الشباب، لماذا نخسر هذه العبادة؟، هل لأننا أصبحنا نعيش في زمن سرعة الردود؟، فهذه رسالة تغضبنا، وهذا تعليق يسيء إلينا، أو خلاف عابر فنقاطع بسببه سنوات، ولو أننا تذكرنا أجر العافين، لصبرنا دقائق، وربحنا حسناتٍ قد لا نحصل عليها بقيام الليل، أو صيام تطوع، فكم من صداقات انتهت بسبب كلمة، وكم من بيوت هدمت بسبب غضبة، وكم من أرحام تقطعت بسبب موقف كان يمكن أن ينتهي بكلمة: "سامحتك".

يا أخي، تعلّم كيف تعفو؟ فعند الغضب استحضر أن الله يحب العافين، وتذكر أنك أنت أيضًا تحتاج إلى عفو الله، فلا تتخذ قرارًا وأنت غاضب، ثم غيّر هيئتك إذا غضبت؛ فإن كنت قائمًا فاجلس، وإن كنت جالسًا فاضطجع، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر من الدعاء: "اللهم إني أسألك قلبًا سليمًا"، واجعل شعارك في الحياة: "لن أخسر آخرتي لأنتصر في موقف عابر".

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، ليس الشديد من يرفع صوته، ولا من ينتصر في كل جدال، ولا من يرد الإساءة بالإساءة، إنما القوي حقًا هو الذي يملك نفسه عند الغضب، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويترك حقه ابتغاء ما عند الله.

قد يصفق الناس للمنتصر في الخصومة، لكن الله يحب المنتصر على نفسه، فلا تجعل الغضب يقود قراراتك، ولا تسمح للشيطان أن يحرمك من عبادة عظيمة يغفل عنها كثير من الناس، لذا اكظم غيظك، واعفُ، وأحسن، ففي كل مرة تعفو فيها عن الناس، يفتح الله لك بابًا من رحمته، ويكتب لك من الأجر ما لا يخطر لك على بال.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة

ما أسهل أن يتحرك لسان الإنسان، وما أصعب أن يُضبط!، فقد يجلس شاب مع أصدقائه في استراحة، أو فتاة مع زميلاتها في لقاء عائلي، فتتحول الجلسة في دقائق إلى حديث عن فلان وفلانة، هذا يسخر من شكل هذا، وتلك تنتقص من الأخرى، وثالث ينقل الكلام بين الناس ليزيد الخلاف، وهذه تُضحك الحاضرين على حساب أعراض المسلمات، ثم ينتهي المجلس، ظنًا من الجميع أنهم لم يفعلوا شيئًا.

بينما ربما امتلأت صحائفهم بذنوبٍ لم يشعروا بها، ولو أنهم اتقوا الله فيما يقولون ويسمعون، لعبدوا الله عبادةً عظيمةً جليلةً، إنها عبادة خفية يغفل عنها كثير من الناس، وهي عبادة حفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء، عبادة تحتاج إلى قلبٍ ولسانٍ يعظم الله ويراقبه.

أيها الشباب، عجبًا لهذا اللسان!، قطعة لحم صغيرة، لكنها قد تكون سببًا في دخول الجنة، أو سببًا في دخول النار، تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه بعدما أخبره بأبواب الخير، ثم قال: " ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلِكَ كلِّهِ ؟ قُلتُ: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، قال: فأخذَ بلِسانِهِ قالَ: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم " رواه الترمذي.

أيها الشاب، لقد صور القرآن الغيبة بصورة تهتز لها القلوب، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢)، فأي صورة أبشع من هذه الصورة؟، ومع ذلك قد يقع الإنسان في الغيبة وهو يبتسم ويظنها مزاحًا، سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يومًا فقال: " أتَدرونَ ما الغيبةُ؟ قالوا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: ذِكرُك أخاك بما يَكرَهُ، قيلَ: أفَرَأيتَ إن كانَ في أخي ما أقولُ؟ قال: إن كانَ فيه ما تَقولُ فقدِ اغتَبتَه، وإن لَم يَكُنْ فيه فقد بَهَتَّه " رواه مسلم، وكلاهما من كبائر الذنوب.

أيها المبارك، ومن أخطر آفات اللسان النميمة، وهي نقل الكلام بين الناس للإفساد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يَدخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ " متفق عليه، فكم من أسرة تفرقت بسبب كلمة!، وكم من صديقين افترقا بسبب ناقل كلام!، وكم من رحمٍ قُطعت بسبب شخص استمتع بإشعال الفتنة بين الناس!، فالنمام لا يحمل سلاحًا بيده، لكنه يهدم القلوب بكلمة.

وفي زمن وسائل التواصل، أصبحت السخرية مادة للضحك، وصار بعض الشباب يجمع الإعجابات بالسخرية من الناس، أو بنشر مقاطع تقلل من شأنهم، أو بتقليد أصواتهم وهيئاتهم، ونسي هؤلاء قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١)، فرب كلمة أضحكت الناس دقائق، وأبكت صاحبها يوم القيامة سنين.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "والله الذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان"، وكان الإمام الحسن البصري رحمه الله يقول: "لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك"، وكان السلف الصالح يعدون كثرة الكلام من علامات قلة الفقه في النفس، لأن المؤمن يعلم أن كل كلمة محفوظة.

وفي ذات يوم دخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وأخذ يذكر له رجلًا بسوء، فقال له عمر: "إن شئت نظرنا في أمرك؛ فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، وإن شئت عفونا عنك"، فقال الرجل: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليها أبدًا، هكذا كانوا يربون الناس على حفظ اللسان، لا على نشر العيوب.

أيها الشاب، لماذا اعتدنا الكلام بلا تفكير؟، نجلس ساعات نتحدث في أخبار الناس، نعلق على صورهم، نسخر من أخطائهم، وننقل أسرارهم، ثم إذا سئل أحدنا قال: "كنا نمزح!"، ولو علم أن كل كلمة تُكتب عليه، لما استهان بها، كما قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨) .

لذا عليك قبل أن تتكلم، اسأل نفسك: هل هذا الكلام يرضي الله؟، وإذا كان في مجلسك غيبة، غيِّر الحديث، أو دافع عن أخيك، أو غادر المجلس، واحذر ان تجعل وسائل التواصل بابًا للطعن والسخرية، وعوِّد لسانك على الذكر والدعاء والكلمة الطيبة، فإن اللسان لا يجتمع فيه كثرة الذكر وكثرة الغيبة، وتذكر أن من ستر مسلمًا ستره الله، ومن حفظ أعراض الناس حفظ الله عرضه.

فيا أخي، إن حفظ اللسان من أعظم علامات الإيمان، وأقربها إلى تقوى القلوب، فإن الكلمة إذا خرجت لا تعود، لكنها تبقى مكتوبة في صحيفة عملك، وستقف بين يدي الله يومًا لتقرأها كلها، قال صلى الله عليه وسلم: " إنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن رِضوانِ اللهِ، لا يُلقي لها بالًا، يَرفَعُه اللهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن سَخَطِ اللهِ، لا يُلقي لها بالًا، يَهوي بها في جَهَنَّمَ " رواه البخاري، فطوبى لمن جعل لسانه مفتاحًا للخير، ومغلاقًا للشر.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة ترك السخرية والاستهزاء بالناس

يغفل بعض الناس عن عبادة عظيمة يمارسها كل يوم، لا تكلفه مالًا ولا جهدًا، لكنها تحتاج إلى قلب حي ولسان منضبط، ومن هذه العبادات الخفية عبادة ترك السخرية والاستهزاء بالناس، فكم من كلمة ساخرة قيلت على سبيل المزاح، بقيت في قلب صاحبها سنوات طويلة!، وكم من شاب فقد ثقته بنفسه بسبب تعليق ساخر!، وكم من فتاة انكسرت نفسيتها بسبب كلمة قاسية عن شكلها أو هيئتها أو طريقة كلامها!، ورب كلمة ظنها قائلها هينة، وهي عند الله عظيمة.

أيها الشباب، لقد جاء النهي عن السخرية صريحًا في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١)، تأمل كيف ختمت الآية بقوله: ﴿عسى أن يكونوا خيرًا منهم﴾، فقد تسخر من إنسان تراه بسيطًا أو قليل العلم أو ضعيف الهيئة، بينما هو عند الله خير منك منزلة، فالعبرة ليست بالمظاهر، وإنما بما في القلوب من تقوى.

أيها المبارك، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، قد يملك الإنسان جمالًا أو مالًا أو شهرة أو منزلةً، لكنه لا يملك تقوى الله، وقد يكون شخص لا يلتفت إليه الناس، لكنه عند الله من الصالحين، ولهذا كان المؤمن يخشى أن يستهزئ بمن

هو أحب إلى الله منه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " وإنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن سَخَطِ اللهِ، لا يُلقي لها بالًا، يَهوي بها في جَهَنَّمَ " رواه البخاري، مع أن كثير من كلمات السخرية تبدأ بعبارة: "أنا أمزح فقط"، وهل المزاح يبيح أذية الناس، ويسقط مسؤولية الكلمة؟.

يا أخي، لم تعد السخرية تقتصر على المجالس، بل انتقلت إلى الشاشات والهواتف، فمن صورها: السخرية من شكل الإنسان أو لونه أو قصره أو طوله، أو الاستهزاء بطريقة الكلام أو اللهجة، أو صناعة المقاطع الساخرة من أخطاء الآخرين، أو تحويل زلات الناس إلى مادة للضحك والتداول، أو كتابة التعليقات الجارحة في وسائل التواصل، أو إطلاق الألقاب المحرجة بين الزملاء والأصدقاء، أو تقليد الأشخاص بقصد الإضحاك والاستهزاء، وربما كتب أحدهم تعليقًا لا يستغرق عشر ثوانٍ، لكنه يبقى في نفس صاحبه سنوات.

أيها الغالي، هل سألت نفسك: لماذا ينهى الإسلام عن السخرية؟، لأنها تهدم أكثر مما تبني، فهي: تكسر القلوب، وتزرع الكراهية، وتفسد الصداقة، وتضعف الثقة بالنفس، وتربي على الكبر والاحتقار، وتفتح باب الانتقام والعداوة، أما الكلمة الطيبة، فإنها تجمع القلوب وتؤلف بينها، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣).

أيها الشاب، كان السلف يخافون من الكلمة أكثر مما يخاف كثير من الناس من الخطايا الظاهرة، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره، ما على

الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان"، وكان الإمام الشافعي إذا أراد أن ينصح أحدًا، اختار ألطف العبارات، وكان يقول: "ما ناظرت أحدًا إلا أحببت أن يظهر الله الحق على لسانه"، وهذا يدل على سلامة صدره، وبعده عن حب الانتصار للنفس أو تحقير الآخرين.

أيها الغالي، هل سألت نفسك: متى يكون الصمت عبادة؟، فليس كل ما تعرفه يُقال، وليس كل موقف يحتاج إلى تعليق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فليَقُلْ خَيرًا أو ليصمُتْ " رواه البخاري، فقد يكون صمتك في لحظة غضب، أو عند رؤية خطأ، أو أمام موقف يضحك الناس، عبادة عظيمة لا يعلمها إلا الله.

تذكر يا أخي أن لكل إنسان عيوبًا، وأنت لست معصومًا، فإذا أردت أن تسخر من أحد ضع نفسك مكان من تسخر منه، واسأل: هل أرضى أن يقال لي هذا؟، واشغل لسانك بالكلمة الطيبة، وإذا أخطأ أحد، فانصحه برفق بدلًا من السخرية منه، وعود نفسك على مدح الصفات الحسنة بدلًا من تتبع العيوب، واحذر أن يكون حسابك في وسائل التواصل منصة للتنمر أو الاستهزاء.

فيا صديقي، إن من أجمل العبادات التي قد لا ينتبه إليها الناس، أن تكف لسانك عن جرح الآخرين، فإذا رأيت خطأً فلا تعلّق، وإذا سمعت لهجة مختلفة فلا تستهزئ، وإذا رأيت هيئةً غريبة فلا تضحك، وإذا وصلك مقطع يسخر من شخص، فامتنع عن نشره،

كل ذلك حسنات تُكتب لك، لأنك قدمت رضا الله على رغبة النفس في الضحك أو لفت الأنظار.

واعلم أن الناس لا ينسون من أكرمهم بكلمة طيبة، كما لا ينسون من آذاهم بكلمة جارحة، فكن ممن يبني القلوب ولا يهدمها، ويجبر الخواطر ولا يكسرها، وينشر الاحترام بدلًا من السخرية، فكما أن الكلمة الطيبة عبادة، فإن ترك الكلمة الجارحة عبادة خفية عظيمة.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الباب الرابع

عبادات الخلوات

عبادة البكاء من خشية الله

في زمنٍ كثرت فيه الضحكات المصطنعة، وتتابعت فيه المقاطع المضحكة، وانشغل الناس بالساعات أمام الشاشات، أصبحت القلوب تحتاج إلى لحظات صادقة تعود بها إلى خالقها، وتغسل عنها غبار الغفلة، وليس هناك ما يلين القلب مثل دمعةٍ صادقة تنحدر من العين خوفًا من الله ورجاءً في رحمته، إنها عبادة خفية، عبادة البكاء من خشية الله.

هذه العبادة دليل حياة القلب، ورقته، وتعظيمه لربه، قال الله تعالى عن عباده الذين إذا سمعوا كلامه خشعت قلوبهم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩)، وقال سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨).

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل البكاء من خشية الله: " عَينانِ لا تمسُّهما النَّارُ: عينٌ بَكَت من خشيةِ اللَّهِ، وعَينٌ باتت تحرُسُ في سبيلِ اللَّهِ" رواه الترمذي، وتأمل هذا الفضل العظيم في الحديث المتفق عليه عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: " ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا ففاضَت عَيناه " رواه البخاري، حيث كان وحده، لا يراه أحد، فهو لم يبكِ رياءً ولا سمعةً، وإنما بكى لأن قلبه امتلأ بتعظيم الله.

يا أخي، هل سألت نفسك: لماذا لا نبكي من خشية الله؟، ولماذا عندما تمر علينا آيات الجنة والنار، وأحاديث الموت والقبر والقيامة، فلا تتحرك العيون بدمعة؟!، لأن كثير من الشباب والفتيات تعلقت قلوبهم بغير الله، فأصبحت عيونهم تبكي عند مشاهدة فيلم مؤثر، أو عند خسارة مباراة، أو عند فقد مال، وهذه ليست قسوةً خلقت معنا، وإنما هي قسوة صنعتها الغفلة.

فالمعاصي تميت القلب، وكثرة الضحك تضعفه، والانغماس في الشهوات يحجبه عن التأثر، والإفراط في اللهو يطفئ نور الإيمان شيئًا فشيئًا، حتى يصبح القلب كالصخرة لا يتأثر بالموعظة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: ٧٤).

أيها المبارك، وحتى نحي قلوبنا بالإيمان، ليس المطلوب أن يتكلف الإنسان البكاء، وإنما المطلوب أن يحيي قلبه بذكر الله وطاعته، لذا اجلس مع نفسك دقائق معدودة، ثم أغلق هاتفك، واقرأ شيئًا من القرآن بتدبر، ثم تذكر أول ليلة في قبرك، ووقوفك بين يدي الله، وتذكر نعم الله التي لا تحصى، وذنوبك التي تحتاج إلى استغفار، وتذكر الجنة التي عرضها السماوات والأرض، والنار التي قال الله عنها: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة،٢٤)، عندها قد تنزل دمعة واحدة، ربما تكون سببًا في سعادتك الأبدية.

أيها الشباب، جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " قال لي النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: اقرَأ عليَّ، قُلتُ: آقرَأُ عليك وعليك أُنزِلَ؟ قال: فإنِّي أُحِبُّ أن أسمَعَه مِن غَيري،

فقَرَأتُ عليه سورةَ النِّساءِ، حتَّى بَلَغتُ: ﴿فكَيفَ إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وجِئنا بِك على هؤلاء شَهيدًا﴾ (النساء: ٤١)، قال: أمسِكْ، فإذا عَيناه تَذرِفانِ" رواه البخاري، فقد كان صلى الله عليه وسلم أرقَّ الناس قلبًا.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا صلى بالناس لا يكاد يُسمع من كثرة بكائه، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان يُسمع نشيجه من آخر الصفوف، حتى قيل: كان في وجهه خطان أسودان من كثرة الدموع، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن القبر أول منازل الآخرة" رواه الترمذي، وكان الحسن البصري يقول: "ابكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا فتباكوا"، أي: اجتهدوا في تليين القلوب وتعريضها لأسباب الخشوع، لا تصنعًا أمام الناس.

أيها الشاب، إن أجمل ما في هذه العبادة أنها خفية، فقد يراك الناس مبتسمًا، ولا يعلمون أنك قمت قبل الفجر، فقرأت آيات من القرآن، ثم بكيت بين يدي الله، وقد تخرج من مجلس مليء بالناس، ثم تخلو بنفسك، فتستغفر الله حتى تبلل الدموع خديك، فهذه الدموع لا تضيع، إنها محفوظة عند الكريم سبحانه.

فيا أيها الشاب، لا تجعل قلبك يموت بين الشاشات، ولا تترك الملهيات تسرق منك لذة الخشوع، لكن خصص كل أسبوع جلسةً تخلو فيها بربك، وأكثر من تلاوة القرآن، وأطل السجود، وأدم الاستغفار، واسأل الله قلبًا خاشعًا، وعينًا دامعة، فرب دمعة صادقة كانت

سببًا في مغفرة ذنوبٍ كثيرة، ورفعة درجات، ونجاةٍ من النار، وفوزٍ بجنة عرضها السماوات والأرض، وكرر دوما: اللهم ارزقنا قلوبًا خاشعة، وأعينًا دامعة، وألسنةً ذاكرة، واجعلنا ممن إذا ذُكِّروا تذكروا، وإذا سمعوا آياتك خشعت قلوبهم، وفاضت أعينهم من خشيتك.

وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الخبيئة الصالحة

قد يراك الناس حين تصلي في المسجد، وقد يسمعون تلاوتك للقرآن وأنت في بيتك، وقد يعلمون بصدقتك وصيامك أو بحجك أو بعلمك، لكن هناك عبادة لا يراها أحد، ولا يعلم بها قريب ولا صديق، ولا يكتب عنها الناس، ولا تُنشر في وسائل التواصل، إنها عبادة الخبيئة الصالحة؛ ذلك العمل الذي تجعله سرًّا بينك وبين ربك، لا تبتغي به إلا وجه الله، ولا تنتظر عليه ثناء الناس ولا إعجابهم.

إنها العبادة التي قد تكون سببًا في نجاتك يوم القيامة، في تفريج كربتك، أو في رفع درجتك عند الله، قال صلى الله عليه وسلم: " مَنِ استطاعَ منكم أنْ يكونَ لَهُ خَبْءٌ [خَبِيءٌ] مِنْ عمَلٍ صالِحٍ فلْيَفْعَلْ " صحيح الجامع.

أيها الشاب، لماذا نحتاج إلى خبيئة صالحة؟، لأن القلوب تتقلب، والنفوس تحب المدح والثناء، وقد يعمل الإنسان العمل الصالح، ثم يفسده بحب الشهرة أو انتظار المديح، أما العمل الذي لا يعلمه إلا الله، فهو أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١)، فإذا كان إخفاء الصدقة خيرًا للمسلم، فإن كل عمل صالح يُخفى ابتغاء وجه الله له منزلة عظيمة عند الله.

أيها الشباب، إن من أعظم ما يبين قيمة الخبيئة الصالحة قصة أصحاب الغار، وهم ثلاثة رجال آواهم المطر إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة عظيمة، فلم يستطيعوا الخروج، حاولوا الخروج بكل قوتهم فلم يستطيعوا، فعلموا أن النجاة بيد الله سبحانه، فتوجه كل واحد منهم إلى الله بعمل خالص كان بينه وبين ربه، فالأول ذكر حسن بره مع والديه، والثاني ترك الحرام خوفا من الله، والثالث حفظ أمانة الأجير حتى أداها له.

فكان كل واحد عند نهاية حديثه يقول: " اللهُمَّ فإن كُنتُ فعَلتُ ذلك ابتِغاءَ وَجهِكَ فافرُجْ عَنَّا ما نَحنُ فيه " قال صلى الله عليه وسلم: " فانفَرَجَتِ الصَّخرةُ، فخَرَجوا يَمشونَ" رواه البخاري، لقد كانت أعمالًا خفية، لم يقصدوها للناس، وإنما ادخروها عند الله، فجعلها الله سببًا للفرج.

يا أخي، الخبيئة ليست عبادة معينة، بل قد تكون: ركعتين في جوف الليل لا يعلم بهما أحد، أو صدقة تصل إلى فقير سرًا، أو دمعة خشية في ظلمة الليل، أو دعاء للمسلمين بظهر الغيب، أو كفالة يتيم لا يعلم بها الناس، أو إصلاح بين متخاصمين دون أن يذكرك أحد، أو قضاء حاجة محتاج في صمت، أو استغفار في السحر، أو قراءة جزء من القرآن لا يعلم بها أحد، أو تفريج كربة مسلم دون انتظار شكر، كل هذه الأعمال قد تكون خبيئة صالحة بينك وبين الله.

أيها الشاب، كان علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله يحمل الطعام ليلًا إلى بيوت الفقراء، ولا يعرفون من الذي يأتيهم، فلما مات، افتقدوا الطعام، فعلموا أنه هو، بعد أن رأوا آثار حمل الأكياس على ظهره، وكان أيوب السختياني رحمه الله إذا رق قلبه وبكى، مسح دموعه سريعًا، وقال لمن حوله: "ما أشد الزكام!"، وكان محمد بن واسع رحمه الله يقوم الليل سنوات طويلة، حتى إن بعض أهل بيته لا يشعرون بقيامه، وكانوا يرون رحمهم الله أن العمل إذا خفي كان أقرب إلى القبول.

أيها المبارك، ومن أعظم الأدلة على فضل العمل الخفي قول النبي صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: " ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا ففاضَت عَيناه " رواه البخاري، هذا ليس مجرد إخفاء للصدقة، بل مبالغة في الإخلاص، لدرجة أن اليد الأخرى لا تعلم بما أعطت أختها.

وقد يقال: لماذا كان بعض الصحابة يعملون الخير أمام الناس؟، والجواب أن الأصل في النوافل الإخفاء، لكن قد يُظهر المسلم بعض الأعمال إذا قصد تشجيع الناس أو تعليمهم، وكان قلبه سالمًا من طلب السمعة.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، اجعلوا لكم رصيدًا بينكم وبين الله، واجعلوا لكم بابًا من الخير لا يدخله أحد غيركم، ولا تخبروا به أحدًا، فرب عمل صغير أخفيته لله، كان أعظم عنده من أعمال كثيرة رآها الناس وصفقوا لها، ورب خبيئة صالحة تكون سببًا في نجاتك عند الشدائد، أو في حسن خاتمتك، أو في رفعة درجتك يوم القيامة، فإذا أردت أن تعرف مكانتك عند الله، فانظر إلى العمل الذي لا يكون إلا بينك وبين رب العالمين.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الدعاء في السحر

هناك ساعة تمر على كثير من المؤمنين الصادقين أغلى من ساعات العمر، فيها تخلو القلوب بربها، وتنسكب الدموع، وترتفع الأكف، وتلهج الألسنة بالدعاء والاستغفار، إنها ساعة السَّحَر، وهو الوقت الذي يغفل عنه كثير من الشباب والفتيات، ويغفلون معه عن كنزٍ عظيم من كنوز الإيمان، حتى إذا نزلت بهم المصائب، أو اشتدت عليهم الكروب، أو أغلقت في وجوههم الأبواب، بحثوا عن كل سبب، ونسوا أعظم الأسباب وهو: اللجوء إلى الله، قال سبحانه في وصف المتقين: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧)، لأن استغفارهم لم يكن مجرد كلمات، بل كان ثمرة قلوب حية، عرفت ربها، فأحبت مناجاته، ورأت أن ساعات السحر هي أغلى أوقات اليوم.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، كم من مريضٍ يتنقل بين الأطباء، وينسى أن شفاءه بيد الله، وكم من فقيرٍ يطرق أبواب الناس، وينسى أن خزائن الرزق عند الله، وكم من أبٍ وأمٍ أرهقتهما مشكلات الأبناء، وكم من شابٍ ضاقت به الدنيا، وكم من فتاةٍ أثقلتها الهموم، ومع ذلك لم يطرقوا باب السماء في الوقت الذي يحب الله فيه أن يُسأل، لأن كاشف الهم، ومفرج الكرب، وهادي الضال، ورازق المحتاج، هو الله وحده، قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢).

يا أخي، هل تعلم أن من أعظم ساعات الإجابة هو وقت السحر؟، فلقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن فضل هذا الوقت العظيم فقال: " يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدعوني، فأستَجيبَ له؟ مَن يَسألُني فأُعطيَه؟ مَن يَستَغفِرُني فأغفِرَ له؟ " رواه البخاري، يا لها من دعوة ربانية تتكرر كل ليلة!، ليس في رمضان فقط، ولا في العشر الأوائل من ذي الحجة، بل في كل ليلة من ليالي العمر.

إنه نداء كريم من رب كريم لعباده، يدعوهم إلى السؤال، ويعدهم بالإجابة والعطاء والمغفرة، فكم من ليلة مرت علينا ونحن غارقون في النوم أو منشغلون بالسهر واللهو، فضاعت علينا هذه التجارة الرابحة!، قال الله تعالى يمدح فيها عباده الصالحين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: ١٧-١٨).

أيها المبارك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فإذا سُئل عن ذلك قال: " أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ " متفق عليه، فقد كان يطيل القيام، والركوع، والسجود، ويكثر من الدعاء، يعلم أمته أن أعظم ما يملكه المؤمن هو صلته بربه، وذات يوم سأل أحد الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل مِن ساعةٍ أقرَبُ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ مِن أُخرى؟ قالَ: نعَم، جَوفُ اللَّيلِ الآخرُ، فَصلِّ ما بدا لَكَ حتَّى تصلِّيَ الصُّبحَ"

رواه النسائي.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل بيته آخر الليل للصلاة، ثم يتلو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: ١٣٢)، وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول: "ما فاتتني صلاة الجماعة منذ أربعين سنة"، وكان من المحافظين على قيام الليل والدعاء في السحر، ورُوي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله أنه كان إذا هدأت الأصوات وخلا الناس بربهم، قام يناجي الله طويلًا، فهؤلاء لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة العلم وحده، وإنما بصلة دائمة بالله، ودعاء صادق في ساعات الخلوة.

يا أخي، لماذا نحرم أنفسنا من هذه الساعة المباركة؟، كم من شاب يقول: أبحث عن وظيفة، وأخرى تقول: أنتظر الزوج الصالح، وآخر يشكو الديون، وآخر يشكو العقوق، وآخر أنهكته الأمراض، وربما جربوا كل الأسباب، إلا السبب الذي لا يخيب، فلقد جعل الله لكل شيء سببًا، وأعظم الأسباب بعد الأخذ بالمشروع منها أن ترفع يديك إليه في وقت الإجابة، وأنت موقن أنه يسمعك، ويراك، ويقدر على كل شيء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ، واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ " رواه الترمذي.

فيا صديقي، لا تجعل آخر الليل وقتًا لمشاهدة المقاطع، أو تصفح الهاتف، أو السهر الذي يحرمك من هذه المنحة الإلهية، إذا علمت أن ملكًا من ملوك الدنيا يفتح بابه ساعةً واحدة كل ليلة ليقضي حاجات الناس، لازدحم الناس على بابه، فكيف ورب العالمين ينادي عباده كل ليلة: " من يدعوني فأستجيب له؟ ".

فلا تحرم نفسك هذا الخير، ورب دعوة في السحر غيَّرت مستقبل شاب، وفتحت باب رزق، ورفعت بلاء، وأصلحت أسرة، وشفَت مريضًا، وهدت ضالًا، وكانت سببًا في سعادة الدنيا والآخرة.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة المحافظة على الأذكار

كم مرة خرجت من بيتك وقد تأكدت من إغلاق بابك؟، وكم مرة راجعت هاتفك ومحفظتك ومفاتيح سيارتك قبل أن تغادر؟، لأن الإنسان بطبيعته يحرص على حماية ما يملك، لكنه قد يغفل عن أعظم حماية يحتاجها في حياته كلها، وهي حماية قلبه ودينه ونفسه وأهله، فتجد كثير من الشباب والفتيات يعيشون حياتهم وهم يحرصون على وسائل الوقاية المادية، لكنهم ينسون الوقاية الإيمانية التي أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي المحافظة على الأذكار، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨).

أيها الشباب، لقد أصبح بعض الناس إذا أصابه مرض أو ضيق أو تعطلت أموره أو كثرت مشكلاته، أخذ يبحث عن كل سبب، وربما اتهم كل من حوله بالحسد أو العين أو السحر، بينما هو قد أهمل أعظم حصن جعله الله سببًا للوقاية من الشرور، وهو ذكر الله، فالأذكار ليست عادة يومية، ولا كلمات تُقال بسرعة، وإنما هي عبادة عظيمة، وصلة بالله، وسلاح للمؤمن، وحصن يحفظه الله به من كثير من الآفات بإذنه سبحانه، قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وقال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

أيها المبارك، إن من أعظم ما ورد في فضل الأذكار قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قال حِينَ يُمسِي: بِسمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مع اسْمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، وهوَ السميعُ العليمُ، ثلاثَ مرَّاتٍ، لمْ يُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حتى يُصبحَ، ومَنْ قالَها حِينَ يُصبحُ ثلاثَ مرَّاتٍ، لمْ يُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حتى يُمسِي " رواه أبوداود، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن قرأَ آيةَ الكرسيِّ دبُرَ كلِّ صلاةٍ مَكْتوبةٍ، لم يمنَعهُ مِن دخولِ الجنَّةِ، إلَّا الموتُ " رواه النسائي، وقال صلى الله عليه وسلم في شأن قراءة آية الكرسي عند النوم: " إذا أويتَ إلى فِراشِكَ فاقرَأْ آيةَ الكُرسيِّ، لَن يَزالَ عليك مِنَ اللهِ حافِظٌ، ولا يَقرَبُكَ شيطانٌ حتَّى تُصبِحَ " رواه البخاري، فأي حصن أعظم من هذا؟، تحفظك الملائكة بأمر الله، ويبتعد عنك الشيطان، ويعيش قلبك مطمئنًا بذكر ربه.

يا أخي، هل سألت نفسك: لماذا نغفل عن الأذكار؟، والجواب: لأننا نظن أنها كلمات يسيرة، بينما هي عند الله عظيمة، فكم من شاب متفوق في دراسته، وكم من فتاة رزقها الله النجاح، وكم من أسرة أنعم الله عليها بالاستقرار، وكم من إنسان وسع الله عليه في رزقه، ثم غفل عن ذكر الله، وأهمل أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، وأذكار الدخول والخروج، وأذكار الطعام والسفر، حتى ضعف تعلقه بالله.

وعلى المسلم أن لا يجزم بأن ما يصيبه من تغير الأحوال سببه الحسد أو العين أو السحر، فهذه أمور غيبية لا تثبت إلا بدليل، لكن الثابت شرعًا أن الأذكار من أعظم أسباب

الوقاية والحفظ بإذن الله، وأن المؤمن مأمور بالأخذ بالأسباب الشرعية مع حسن التوكل على الله.

أيها الشباب، لم تكن الأذكار في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرًا ثانويًا، بل كان يذكر الله في أحواله كلها، فقد كان يحافظ على أذكار الصباح والمساء، ويذكر الله عند النوم والاستيقاظ، وعند دخول المنزل والخروج منه، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الطعام والشراب، وعند السفر، بل حتى عند دخول الخلاء والخروج منه، لقد كانت حياته كلها عامرة بذكر الله، ولهذا بقي قلبه متعلقًا بربه في كل لحظة.

ومن رحمة الله بنا أنه جعل الذكر يرافق المسلم في يومه كله، فإذا استيقظ ذكر الله، وإذا لبس ثوبه ذكر الله، وإذا خرج من بيته ذكر الله، وإذا دخل المسجد ذكر الله، وإذا فرغ من الصلاة ذكر الله، وإذا أصبح أو أمسى ذكر الله، وإذا أوى إلى فراشه ختم يومه بذكر الله، وهكذا يعيش المؤمن يومه كله في صلة دائمة بخالقه.

يا أخي، كان الإمام النووي رحمه الله شديد المحافظة على الأذكار، حتى ألَّف كتابه المشهور «الأذكار»؛ ليجمع للمسلمين ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأذكار في مختلف الأحوال، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أشد الناس اتباعًا للسنة في محافظته على الأذكار، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟"، فالقلب إذا انقطع عن ذكر الله قسا، وضعف، واستوحش، وإذا عمّر بالذكر اطمأن وقوي.

أيها الشاب، لو علم الشباب والفتيات ما في الأذكار من الأجور، وما فيها من الحفظ والطمأنينة، لكانوا أشد حرصًا عليها من حرصهم على هواتفهم، لذا اجعل لك وردًا ثابتًا لا تتركه، وابدأ بأذكار الصباح بعد الفجر، وأذكار المساء بعد العصر أو قبل غروب الشمس، ولا تنم حتى تقرأ آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة إن تيسر، وسور الإخلاص والفلق والناس، وما صح من أذكار النوم، واحرص على أذكار الدخول والخروج، والطعام، والسفر، وسائر الأحوال، ومع الأيام ستجد أن الذكر أصبح جزءًا من حياتك، وأن قلبك صار أكثر طمأنينة، وأقوى صلة بالله.

أيها المبارك، لا تفرط في هذه العبادة الخفية التي لا تحتاج إلى مال، ولا جهد، ولا وقت طويل، فهي دقائق معدودة، لكنها تبني حولك حصنًا من الطمأنينة، وتغرس في قلبك اليقين، وتربطك بالله في كل شأن من شؤون حياتك، وتذكر أن الذاكرين هم الأحياء حقًا، وهم أهل السكينة في الدنيا، وأهل الكرامة في الآخرة.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة ترك تتبع عورات الناس

لقد أصبح العالم اليوم قرية صغيرة، وبضغطة زر تستطيع أن تعرف أخبار الناس، وتشاهد صورهم، وتقرأ رسائلهم، وتتابع أخطاءهم، بل ربما تشارك في نشرها إلى آلاف الأشخاص في دقائق معدودة، وللأسف، أصبح بعض الناس إذا سمع بخطأ شخص أو زلته، لم ينشغل بالدعاء له أو ستره، وإنما يبدأ رحلة البحث: ما القصة؟ ومن نشرها؟ وهل يوجد مقطع كامل؟ وهل هناك صور أخرى؟ ثم ينتهي الأمر بإرسالها إلى الآخرين، وكأن عورات المسلمين أصبحت مادة للتسلية وتضييع الوقت، وهنا يغفل كثير من الناس عن عبادة عظيمة من العبادات الخفية، وهي عبادة ترك تتبع عورات الناس، وكف النفس عن البحث في زلاتهم وأخطائهم.

أيها الشباب، لقد أراد الإسلام أن يعيش المسلم مطمئنًا على عرضه وسمعته، فلا يكون الناس متربصين به، ولا متلذذين بأخطائه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢)، تأمل كيف جمع الله بين سوء الظن، والتجسس، والغيبة، لأن من تتبع الأخبار والعورات غالبًا يقع بعد ذلك في الغيبة والتشهير، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (النور: ١٩)، وهذه الآية لا تقتصر على من اخترع الفاحشة، بل تشمل كل من يسهم في نشرها وإشاعتها بين الناس.

يا أخي، لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم تحذيرًا شديدًا من هذا السلوك، فقال: " يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضحُه في بيتِه " رواه أبوداود، فيا لها من عقوبة مخيفة!، لمن يجعل همه البحث عن زلات الناس، فإن الله قد يعامله من جنس عمله، فيكشف ستره ويفضح أمره إذا شاء.

أيها المبارك، كم من مقطع ينتشر في وسائل التواصل لإنسان أخطأ، أو وقع في معصية، أو انفعل في موقف، فيتسابق الناس إلى مشاهدته ونشره والتعليق عليه، ولو سأل أحدهم نفسه: هل يرضيني أن أكون مكانه؟، لأجاب: لا، فلماذا نرضى لإخواننا ما لا نرضاه لأنفسنا؟، فالمؤمن الرحيم لا يجعل أخطاء الناس مادة للضحك، ولا وسيلة لزيادة المتابعين، وإنما يدعو لهم بالهداية، ويستر عليهم ما استطاع.

أيها الشاب، ومن صور هذه العبادة أيضًا: ألا يصدّق المسلم كل ما يُنشر، فكم من مقطع مجتزأ!، وكم من صورة مفبركة!، وكم من إشاعة دمرت أسرة أو شوهت سمعة إنسان بريء!، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: ٦)، فلا يجوز للمؤمن أن يكون أداة لنقل الأخبار قبل التحقق منها، فقد يرسل إليك أحدهم رابطًا بعنوان مثير: "فضيحة فلان..."، أو "شاهد ما حدث لفلان..."، أو "الحقيقة الكاملة..."، فتكون عبادتك في تلك اللحظة أن تغلق الصفحة، وتمحو الرسالة، ولا تفتح بابًا نهاك الله عنه.

يا أخي، كان السلف الصالح يكرهون تتبع العيوب، ويحبون الستر، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لو رأيت أخي ولحيته تقطر خمرًا، لسترته بثوبي"، والمقصود أنه يبدأ بالستر والنصح، لا بالتشهير والفضيحة، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"، وقال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن ستّير، والفاجر معير"، فالمؤمن إذا رأى زلة أخيه سترها، أما صاحب القلب القاسي فيجعلها حديث المجالس.

أيها الغالي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَه اللهُ يَومَ القيامةِ" رواه البخاري، **وما أعظمها من بشارة!، فكما تستر الناس، يسترك الله، وكما تحافظ على أعراضهم، يحفظ الله عرضك، وقد تكون حاجتك إلى ستر الله يوم القيامة أعظم من حاجة أخيك إلى سترك اليوم.**

فيا أخي لا تبحث عن فضائح الناس وأخطائهم، ولا تدخل الحسابات التي تنشر الفضائح لمجرد الفضول، ولا تعيد إرسال المقاطع التي تسيء إلى المسلمين، وتثبت من الأخبار قبل نشرها، وإذا عرفت خطأ أخيك، فانصحه سرًا إن استطعت، ولا تشهر به، وادع للمخطئ بالهداية بدلًا من الشماتة، وتذكر دائمًا أنك أنت أيضًا بشر، وقد تخطئ يومًا وتحتاج إلى من يسترك.

فيا ولدي، إن الهاتف الذي بين يديك قد يكون بابًا إلى الجنة، وقد يكون بابًا إلى الإثم، فكلما جاءتك رسالة تكشف ستر مسلم، أو مقطع يفضح إنسانًا، أو إشاعة تشوه سمعة أحد، فاسأل نفسك: هل يرضى الله أن أفتح هذا الباب؟.

وتذكر أنك إذا تركت تتبع العورات لله، فقد أديت عبادة خفية لا يعلمها إلا الله، وربما كانت تلك الضغطة التي امتنعت بها عن مشاهدة فضيحة، أو امتنعت بها عن إعادة إرسالها، سببًا في أن يسترك الله في الدنيا والآخرة، فاحفظ لسانك، واحفظ بصرك، واحفظ هاتفك، ولا تجعل من وسائل التقنية وسيلة لهتك أستار المسلمين، بل اجعلها طريقًا للدعوة، ونشر الخير، والكلمة الطيبة، فإن من أعظم القربات في هذا العصر أن تكف نفسك عن تتبع عورات الناس، وأن تسترهم كما تحب أن يسترك الله.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة صلاة الليل

هناك عباداتٌ يراها الناس، فيثنون على صاحبها، وهناك عباداتٌ لا يعلم بها إلا الله، لا يراها صديق، ولا يسمع بها قريب، لكنها قد تكون سببًا في رفعة العبد عند ربه، عبادات تكون في لحظات يسكن فيها الناس، وتطفأ الأضواء، وتخلو الطرقات، ويغلق كل واحد فيه هاتفه، ومن أعظم هذه العبادات الخفية: عبادة صلاة الليل.

فيها يقوم عبدٌ من عباد الله، يتوضأ في هدوء، ويقف بين يدي ربه يناجيه، ويبكي بين يديه، ويرجو رحمته، ويستغفر من ذنوبه، ففي تلك اللحظات لا توجد كاميرا تصور، ولا متابع يصفق، ولا إعجابات تنتظر، وإنما هي علاقة خاصة بين العبد وربه.

أيها الشاب، لو تأملت واقع كثير من الشباب والفتيات اليوم لوجدت أن ساعات الليل أصبحت موسمًا للسهر على الهاتف، والتنقل بين المقاطع القصيرة، ومتابعة المشاهير، والألعاب الإلكترونية، والمحادثات الطويلة، حتى إذا اقترب الفجر أثقلهم النوم، فضاعت عليهم صلاة الليل، وربما ضاعت صلاة الفجر أيضًا.

فكم من شاب يقول: ليس عندي وقت!، ولو حسب ساعات استخدام الهاتف لوجدها ثلاثًا أو أربعًا، وربما ست ساعات يوميًا، وكم من فتاة تقضي جزءًا كبيرًا من الليل في متابعة ما لا يزيدها علمًا ولا إيمانًا، ثم إذا جاء وقت القيام قالت: غلبني النوم، وهكذا

يخسر الإنسان كنوزًا عظيمة، وهو لا يشعر، قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: ١٧-١٨)، فصلاة الليل لم تكن عبادة خاصة بالأنبياء، بل كانت شعار الصالحين عبر التاريخ.

أيها الشباب، قال سبحانه في وصف عباده الصالحين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (السجدة: ١٦)، وقال أيضًا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر: ٩)، فهذه الآيات لا تصف أناسًا يملكون وقتًا فراغًا، وإنما تصف قلوبًا عرفت قيمة الوقوف بين يدي الله.

كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الناس قيامًا لليل، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، جاء في الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم: "كان يَقومُ مِنَ اللَّيلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قدَماه، فقالت عائِشةُ: لِمَ تَصنَعُ هذا يا رَسولَ اللهِ، وقد غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تَأخَّرَ؟ قال: أفلا أُحِبُّ أن أكونَ عَبدًا شَكورًا " رواه البخاري، فيا الله، إذا كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف بحالنا نحن المقصرين؟.

أيها المبارك، قال النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل: " أفضلُ الصَّلاةِ بعدَ الفريضةِ، قيامُ اللَّيلِ " رواه النسائي، ومن أعظم ما يحفز المؤمن على القيام قوله صلى الله عليه وسلم: " يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى كُلَّ لَيلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدعوني، فأستَجيبَ له؟ مَن يَسألُني فأُعطيَه؟ مَن يَستَغفِرُني فأغفِرَ له؟" رواه البخاري، فأي فضل أعظم من أن يفتح لك رب العالمين باب الدعاء كل ليلة؟.

أيها الشباب، قال الحسن البصري رحمه الله: "ما أعلم شيئًا أشد من مكابدة الليل ونفقة المال"، وكان يقول أيضًا: "لم أجد شيئًا من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل"، ومع ذلك كانوا يتلذذون بها، وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله عن السلف الصالح : "ما الدنيا عندهم إلا نهار يصومونه، وليل يقومونه"، وقال سفيان الثوري رحمه الله: "حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته"، فكانوا رحمهم الله يعدّون فواتها مصيبة تحتاج إلى مراجعة النفس.

فلماذا كان السلف يخفون قيامهم؟، لأنهم يعلمون أن العمل إذا خلص لله عظم أجره، حتى أن بعضهم يقوم الليل سنوات طويلة، وأهله لا يشعرون، فإذا أحس بحركة في البيت عاد إلى فراشه حتى لا يراه أحد.

يا أخي، إن عبادة الليل لها ثمرات على صاحبها، ومن أعظمها: قوة الصلة بالله، وانشراح الصدر وطمأنينة القلب، وإجابة الدعاء، وتكفير السيئات، ورفعة الدرجات، ونور في الوجه، وقوة في الإيمان، وبركة في اليوم كله، والثبات أمام الفتن، وحسن الخاتمة بإذن الله، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " عليكُم بقيامِ اللَّيلِ، فإنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قبلَكُم، وقُربةٌ إلى اللهِ تعالى ومَنهاةٌ عن الإثمِ و تَكفيرٌ للسيِّئاتِ، ومَطردةٌ للدَّاءِ عن الجسَدِ " صحيح الجامع، فإذا قمت من ليلتك، فصلِّ ما استطعت، ولو بركعتين، ثم أوتر بواحدة، وحافظ عليها، فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، رب سجدة في ظلمة الليل كانت سببًا في تفريج كربة، أو هداية قلب، أو إجابة دعوة، أو رفعة درجة، أو حسن خاتمة، فلا تحرما نفسيكما هذا الباب العظيم، واجعلا لكما نصيبًا من الليل، ولو قليلًا، واجعلا بينكما وبين الله موعدًا لا يطلع عليه أحد.

فإن العبادات الخفية هي التي تُربي الإخلاص، وتُحيي القلب، وتبني الإنسان من الداخل، ومن عرف لذة الوقوف بين يدي ربه في جوف الليل، علم أن كثيرًا مما يشغل الناس لا يساوي تلك اللحظات المباركة.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة قراءة القرآن في الخلوات

في زمنٍ أصبحت فيه الشاشات رفيقة السهر، والهواتف لا تفارق الأيدي، والمسلسلات والمقاطع القصيرة تلتهم الساعات، صار كتاب الله مهجورا لا يجد الشباب والفتيات دقائق قليلة لقراءته أو سماعه، إذا قيل لأحدهم: اقرأ جزءًا من القرآن، قال: لا أجد وقتًا!، فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠).

بينما كان سلف هذه الأمة يجعلون القرآن أنيسهم في خلواتهم، وسعادتهم في وحدتهم، ودواء قلوبهم إذا ضاقت بهم الحياة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، إذا أغلقت باب غرفتك، وأطفأت هاتفك، وأمسكت بالمصحف، وبدأت تتلو كلام الله بترتيل وتدبر، لا يراك أحد، ولا يسمع صوتك إلا الله، فأنت تمارس عبادةً خفيةً من أجلِّ العبادات وأعظمها أجرًا، قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

والمقصود من تلاوته ليس مجرد تحريك اللسان، وإنما أن يتحرك القلب معه، وأن يعيش المؤمن مع معاني القرآن، فيأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، فهو كتاب هداية وتربية وإصلاح.

يا أخي، من رحمة الله أن جعل قراءة القرآن تجارةً لا تبور، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " منْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ آلم حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ " رواه الترمذي، تأمل هذا الفضل العظيم، كل حرف تقرؤه يكتب لك عشر حسنات، فكيف إذا كانت التلاوة في خلوةٍ صادقة، لا تريد بها إلا وجه الله؟.

وكان هديه صلى الله عليه وسلم حضور القلب عند قراءته، فقد وصف حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قراءته فقال: " يَقرأُ مُتَرَسِّلًا؛ إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تَسبيحٌ سَبَّحَ، وإذا مَرَّ بسُؤالٍ سَألَ، وإذا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ " رواه مسلم، إنها قراءة يعيش فيها القلب مع القرآن، لا مجرد كلمات تمر على اللسان.

أيها المبارك، كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: "لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم"، وكان تميم الداري رحمه الله يردد الآية الواحدة ليلة كاملة يتدبرها ويبكي عندها، وقام سعيد بن جبير رحمه الله ليلة يكرر قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٨١)، يرددها ويبكي حتى أصبح، وكان الإمام محمد بن سيرين إذا خلا

بنفسه أكثر من تلاوة القرآن، وعدَّ ذلك من أعظم أسباب حياة القلب، فهؤلاء لم تكن قراءتهم عادة يومية فحسب، بل كانت لقاءً متجددًا مع كلام الله.

أيها الشاب، هل سألت نفسك: لماذا فقدنا لذة القرآن؟، والجواب: لأن قلوبنا امتلأت بضجيج الدنيا، نقرأ الرسائل أكثر مما نقرأ القرآن، ونتابع أخبار الناس أكثر مما نتدبر كلام الله، ونحفظ عبارات المشاهير أكثر مما نحفظ آيات الذكر الحكيم، وكلما ازدحم القلب بالملهيات، ضعفت لذته بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

ولذا إذا أردت أن تخلو مع كتاب الله: خصص كل يوم وقتًا لا يقل عن عشر دقائق، أغلق فيها هاتفك، واجلس في مكان هادئ، ثم افتح المصحف، واقرأ بتأنٍّ، وردد الآيات التي تؤثر في قلبك، وتوقف عند آيات الرحمة، سائلا الله من فضله، وعند آيات العذاب، مستعيذا بالله من عذابه، وعند آيات النعيم، لتشكر الله، وعند آيات التوبة، لتجدد توبتك، ستكتشف بعد أيام أن قلبك أصبح أكثر طمأنينة، وأن همومك أخف، وأن صلتك بالله أقوى.

فيا صديقي، لا تجعل هاتفك يسرق أجمل ساعات عمرك، واجعل لك خلوةً يومية مع القرآن، لا يعلم بها أحد، فربما كانت تلك الدقائق هي أحب أعمالك إلى الله، ورب آية قرأتها بتدبر غيَّرت حياتك كلها، ورب خلوة مع القرآن أبعدتك عن معصية، وثبتتك عند فتنة، ورفعت درجتك في الدنيا والآخرة.

تذكر دائمًا أن الناس قد لا يعلمون كم ختمة ختمت، ولا كم آية قرأت، لكن الله يعلم، وهو سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملًا، فاجعل بينك وبين الله مجلسًا يوميًا مع كتابه، فإن القرآن في الخلوات حياةٌ للقلوب، ونورٌ للصدور، ورفيقٌ في الدنيا، وشفيعٌ لصاحبه يوم القيامة.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الباب الخامس

العبادات المالية

عبادة الإنفاق على الأقارب المحتاجين

ما أجمل أن ترى رجلًا يبذل آلاف الريالات في وجوه الخير، ويساهم في المشاريع الخيرية، ويشارك في حملات التبرعات، وهذا عمل عظيم يؤجر عليه بإذن الله، لكن المؤلم أن ترى الرجل نفسه أحد إخوته، أو أخواته، أو أعمامه، أو خالاته، أو أبناء عمومته يعيشون ضيقًا شديدًا، ويكابدون هموم الحياة، ولا يجدون منه سؤالًا ولا مواساة، فضلاً عن أن تمتد إليهم يده بالعون، بل قد يبلغ الحال ببعض الأقارب أن يقفوا في طوابير الجمعيات الخيرية، أو يطرقوا أبواب المحسنين، بينما قريبهم الموسر لا يعلم عن أحوالهم شيئًا، أو أنه يعلم ثم يغض الطرف.

وكأن صلة الرحم تنتهي عند السلام في المناسبات، ونسوا عبادة الإنفاق على الأقارب المحتاجين، وهي من العبادات الخفية التي يغفل عنها كثير من الناس، عبادة تجمع بين الصدقة وصلة الرحم، وتداوي القلوب قبل أن تسد الحاجات.

أيها الشباب، قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: ٢١٥)، فلماذا بدأ الإسلام بالأقارب في النفقة؟، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، وإذا كان القريب يشعر أن أقرب الناس إليه قد نسوه، فمن أين يأتيه الإحساس بالأمان؟، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (الإسراء: ٢٦).

وجاءت السنة النبوية لتبين أن الإنفاق على الأقارب ليس كغيره من الصدقات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الصَّدقةُ على المسْكينِ صدقةٌ، وعلى ذي القرابةِ اثنتان: صدقةٌ وصلةٌ " رواه الترمذي، فيا لها من تجارة رابحة!، فإذا أعطيت الغريب كُتب لك أجر الصدقة، وإذا أعطيت قريبك المحتاج، جمع الله لك بين أجر الصدقة وأجر صلة الرحم.

أيها المبارك، قد ترى أخًا ينشر صور سفره، وسياراته الجديدة، وساعاته الفاخرة، بينما أخوه الآخر يجلس في بيته يفكر كيف يوفر لأبنائه رسوم المدرسة، أو إيجار المنزل، أو علاج طفله المريض، وقد تجلس أم عجوز، ترى أبناءها يتنافسون في مظاهر الرفاهية، بينما أحد أبنائها أو بناتها يعيشون ضيقًا شديدًا، فتتمزق نفسها وهي ترى هذا التفاوت، وتتمنى لو شعر الأغنياء من أولادها بحال إخوانهم، إنها حرقة أم، تتمنى أن ترى أبناءها متراحمين، متعاونين، كما أمر الله.

يا أخي، حين يغفل الأغنياء عن أقاربهم المحتاجين، لا تكون الخسارة مادية فقط، بل تمتد إلى القلوب، فتنشأ مشاعر الألم، وربما الحسد، وربما القطيعة، وربما يشعر الفقير أنه غريب بين أهله، وقد يكبر أبناء الأسرة وهم يحملون في نفوسهم ذكريات مؤلمة، لأنهم رأوا آباءهم يعانون، بينما أقاربهم يعيشون في سعة، ولم يلتفتوا إليهم، ولو أن يد الرحمة امتدت في الوقت المناسب، لما بقيت هذه الجراح في النفوس.

أيها الشباب، كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يتفقد أقاربه، ويحرص على الإحسان إليهم، ويرى أن حقهم مقدم إذا كانوا محتاجين، وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله إذا علم بحاجات أقاربه أو إخوانه، سارع إلى قضاء حاجتهم في خفاء، حتى لا يحرجهم، وكان يرى أن أفضل الصدقة ما اجتمع فيها الإخلاص، وصلة الرحم، وحفظ كرامة المحتاج، وكان كثير من السلف يرسلون النفقة إلى أقاربهم سرًا، حتى لا يشعر أحد بفضلهم، ولا أن تنكسر قلوبهم.

يا أخي، إن من أجمل الأخلاق أن تبحث بنفسك عن أحوال أقاربك، فالمتعفف منهم غالبًا لا يتكلم، فقد يحتاج منك: تسديد إيجار منزله، أو شراء مستلزمات دراسة أبنائه، أو المساهمة في علاجه، أو قضاء دينه، أو توفير وظيفة له، أو شراء حاجاته الأساسية دون أن تحرجه، أو إرسال هدية لأسرته في الأعياد والمناسبات.

وربما كانت هذه الأعمال أعظم عند الله من نفقات كثيرة يعلم بها الناس، قال الله تعالى في وصف أهل التعفف: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: ٢٧٣)، فكم من قريب لا يطلب، لكنه ينتظر من يسأل عنه.

فيا صديقي، ابدأ بأهل بيتك، ثم بأرحامك المحتاجين، واسأل عن أحوالهم قبل أن يسألوا الناس، ولا تجعل مظاهر الرفاهية التي تنشرها تؤذي قلب قريبٍ لا يجد ما يسد به حاجة أطفاله.

واجعل لك صدقة خفية لا يعلم بها أحد، تصل بها رحمًا، وتجبر بها خاطرًا، وتحفظ بها كرامة قريب متعفف، فقد يكون أعظم ما تلقى الله به يوم القيامة، أنك كنت سببًا في حفظ أسرة من الحاجة، وصنت ماء وجه قريبك، وجمعت بين أجر الصدقة وأجر صلة الرحم.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة تفريج الكرب عن المحتاجين

كم من شاب يعرف جارًا مثقلًا بالديون، أو قريبًا أرهقه المرض، أو أسرةً فقدت عائلها، أو طالبًا عجز عن إكمال دراسته، فيسمع عن معاناتهم، ويتألم لحالهم، ثم يمضي إلى شأنه وكأن الأمر لا يعنيه، وقد حرم نفسه من عبادة عظيمة وهي أن يكون سببًا في تفريج كربة عن مسلم، لأن عبادة تفريج الكرب من العبادات الخفية التي يغفل عنها كثير من الناس؛ فهي عبادة عظيمة عند الله، لأنها تُدخل السرور على قلب مسلم، وتعيد الأمل إلى نفس أوشكت على الانكسار.

أيها الشباب، إن الإسلام وسّع مفهوم العبادة، فجعل إعانة المحتاج، والوقوف مع الملهوف، ومساندة المكروب من أعظم القربات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن نَفَّسَ عن مُؤمِنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يَومِ القيامةِ، ومَن يَسَّرَ على مُعسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ، ومَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَه اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ، واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه " رواه مسلم، تأمل هذا الوعد العظيم، كربة تفرجها عن أخيك، فيفرج الله عنك كربة من كرب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يبحث فيه كل إنسان عمن ينقذه.

أيها المبارك، يخطئ من يظن أن تفريج الكرب لا يكون إلا بالتبرع بالمال، فكم من إنسان لا يملك مالًا، لكنه يملك قلبًا رحيمًا، ولسانًا طيبًا، ووقتًا، أو جاهًا، أو خبرةً، أو كلمةً

صادقة، فقد تفرج كربة عن مسلم: بكلمة مواساة صادقة، أو بالبحث عن وظيفة لعاطل، أو بالسعي في علاج مريض، أو بقضاء معاملة لمحتاج، أو بإصلاح بين متخاصمين، أو بمساعدة طالب علم، أو بإيصال صدقة إلى مستحقها، أو حتى بابتسامة تبعث الأمل في نفس مهمومة، فكل ذلك داخل في أبواب الإحسان وتفريج الكرب.

قال صلى الله عليه وسلم: " أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ يَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِيَ مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ أعْتَكِفَ في هذا المسجدِ – يعني: مسجدَ المدينةِ– شهرًا، و مَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ و لَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ " رواه الطبراني، تأمل كيف جمع الحديث بين إدخال السرور، وكشف الكرب، وقضاء الدين، وإطعام الجائع، وكلها أعمال قد يراها الناس صغيرة، لكنها عند الله عظيمة.

أيها الشاب، كان عبد الله بن المبارك رحمه الله إذا علم أن أحدًا من إخوانه أصابته حاجة، سارع إلى قضاء حاجته، وكان يرى أن خدمة الناس من أفضل القربات، وكان بعض السلف يقول: "لأن أمشي مع أخٍ لي في حاجة حتى تُقضى، أحبُّ إليَّ من أن أعتكف شهرًا"، لقد فهم السلف رحمهم الله أن العبادة ليست انعزالًا عن الناس، بل مشاركة لهم في آلامهم وآمالهم.

أيها المبارك، هل سألت نفسك: كيف نربي أنفسنا على تفريج الكرب؟، والجواب: كن يقظًا لمعاناة من حولك، ولا تنتظر أن يطلبوا منك، وابحث في أقاربك وجيرانك قبل أن تبحث في البعيد، ثم اجعل لك نصيبًا شهريًا، ولو يسيرًا، لمساعدة المحتاجين، ولا تستصغر أي معروف، فرب مساعدة صغيرة كانت عند صاحبها كبيرة.

فإذا لم تستطع أن تعطي مالًا، فأعطِ وقتًا، أو جهدًا، أو كلمةً، أو دعاءً صادقًا، فرب دعوة صادقة من قلب مكسور كانت سببًا في توفيقك، ورب دمعة فرح رسمتها على وجه يتيم أو فقير، كتب الله لك بها سعادة في الدنيا والآخرة.

فيا أخي، ما أجمل أن تلقى الله، وفي صحيفتك كربات فرجتها، ودموعًا مسحتها، وقلوبًا أحييتها بعد يأس، واعلم أن الجزاء من جنس العمل؛ فمن فرّج عن عباد الله كربهم، فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن كان في عون الناس، كان الله في عونه، وهل بعد معونة الله من نعمة؟.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة صدقة السر

في كل مدينة، وفي كل حي، هناك بيوتٌ وأسرٌ عفيفةٌ لا يسمع الناس أنينها، ولا تمد أيديها إلى أحد، فيهم أرامل وأيتام، وشباب وصغار أثقلتهم الديون والمصروفات، وآباء أنهكتهم متطلبات الحياة، وأمهات يخفين دموعهن عن أبنائهن، وعائلاتٌ أغلقت أبوابها حياءً وتعففًا، لا يشكون للناس، ولا يفضحون حاجتهم، قد تراهم يبتسمون في وجوه الناس، بينما في داخل بيوتهم هموم لا يعلمها إلا الله.

هؤلاء ينتظرون فرجا قريبا، ورحمة من الله تنزل عليهم، وقد يجعل الله تلك الرحمة على يد عبدٍ مؤمن، أرسل إليهم صدقةً في خفاء، فمسحت دموعهم، وسترت حاجتهم، وأعادت إليهم الأمل، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٤).

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، ليست الصدقة مجرد إخراج مال، بل هي عبادة عظيمة، ومن أجمل صورها صدقة السر؛ تلك التي لا يعلم بها أحد إلا الله، إنها عبادة خفية، يختفي فيها اسم المتصدق، ويظهر فيها إخلاصه، يكون همه رضا الله، لا ثناء الناس، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١)، فمع أن إظهار الصدقة قد يكون مشروعًا إذا ترتبت

عليه مصلحة، إلا أن الله أخبر أن إخفاءها وإيصالها إلى الفقير في كثير من الأحوال خيرٌ؛ لأنه أبعد عن الرياء، وأحفظ لكرامة المحتاج.

أيها المبارك، ومن أعظم ما ورد في فضل صدقة السر قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: " ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمينُه " رواه البخاري، فأي تصوير أبلغ من هذا؟، لقد بلغ من حرصه على الإخلاص أن صارت الصدقة في يده اليمنى واليد اليسرى لا تعلم ما صنعت اليمنى، إنها العبادة الخفية التي يحبها الله ورسوله.

أيها الشاب، قد تظن أن الصدقة تنفع الفقير وحده، لكنها في الحقيقة تنفع المتصدق أيضًا، فهي تطهر نفسه من الشح، وتغرس فيها الرحمة، وتعوّدها على الإحسان، وتفتح أبواب البركة لها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع عبدٌ إلا رفعه اللهُ " رواه مسلم، فقد ينقص المال ظاهرًا، لكنه يزداد بركة، ويحفظه الله من الآفات، ويخلف على صاحبه خيرًا.

والله سبحانه لا ينظر إلى كثرة المال، وإنما إلى صدق القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تمرةٍ فإنْ لم تجِدوا فبكلمةٍ طيِّبةٍ " رواه البخاري، فرب ريال أُخفي ابتغاء وجه الله كان أعظم عند الله من آلاف أُنفقت طلبًا للمدح والثناء.

يا أخي، إن من أجمل صور صدقة السر، أن تضع مبلغًا في ظرف، ثم يصل إلى أسرة محتاجة دون أن يعرفوا من أرسله، أو تسدد فاتورة مريض لا تعرفه، أو تشتري دواءً

لمحتاج، أو تودع مبلغًا في حساب يتيم أو أرملة دون أن تخبر أحدًا، أو ترسل سلة غذائية إلى بيت متعفف، فتحفظ كرامته، وتستر حاله، فهذه الصدقات لا تدخل السرور على الفقير فحسب، بل تحفظ ماء وجهه، وتغلق باب الحرج أمامه.

كان علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله يحمل الطعام ليلًا على ظهره، ويوصله إلى بيوت الفقراء دون أن يعرفوه، فلما مات، افتقدت تلك البيوت ما كان يصلها من الطعام، فعلموا أن صاحب تلك الصدقات الخفية هو علي بن الحسين، وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله إذا علم بحاجات بعض الناس قضاها سرًّا، مع كراهته أن يعرف المحتاج أن قضاء حاجته كان على يديه، وكان كثير من السلف يعدون إخفاء الصدقة أعظم من إظهارها، إذا لم تكن هناك مصلحة شرعية في الإعلان عنها، لأن الإخلاص هو روح العمل.

فيا صاحبي، قد لا تملك ثروة كبيرة، لكنك تستطيع أن تتقرب إلى الله بصدقة خفية لا يعلمها إلا الله، فإن الأعمال الخفية هي التي يباركها الله، وهي أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، ورب صدقة خفية، كانت سببًا في تفريج كربة عنك، أو شفاء مريض لديك، أو حفظ أسرتك، أو دعوة صادقة في جوف الليل غيَّرت مجرى حياتك.

فلا تحرم نفسك هذا الباب العظيم من أبواب الخير، فإن الناس قد ينسون عطاياك، لكن الله لا ينسى، وهو سبحانه الذي يقول:﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل: ٢٠).

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة قضاء الدين عن المعسرين

قد ينام الشاب مطمئنًا على فراشه، بينما جاره الذي لا يبعد عنه إلا بضعة أمتار، لا يستطيع النوم من كثرة التفكير في أقساطٍ حلت، وفواتيرٍ تراكمت، ومناسبات ضرورية أطلت، وقد تجلس فتاة في بيتها هادئة منعمة، بينما جارتها في الحي نفسه أرملةٌ تعيش بين همِّ تربية أولادها، وبين دينٍ يطاردها، تنتظر طرقة باب تمد يد العون لها، ومن يخفف عنها ما أثقل كاهلها.

وربما يقبع في السجون رجال لم يرتكبوا جريمة اعتداء أو فساد، وإنما عجزوا عن سداد ديون أثقلت ظهورهم، فابتعدوا عن زوجاتهم وأبنائهم، وأصبحت أسرهم تعيش مرارة الفقد والحاجة، إنها مشاهد تتكرر في مجتمعاتنا، ومع ذلك يغفل كثير من الشباب والفتيات عن عبادة عظيمة من أعظم العبادات الخفية، وهي عبادة قضاء الدَّين عن المعسرين.

أيها الشباب، قد يظن بعض الناس أن أعظم الصدقات هي كثرة المال الذي يُبذل، بينما قد يكون أعظمها عند الله أن ترفع عن مسلم همًّا لازم قلبه سنوات، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨٠)، تأمل هذا التوجيه الرباني، فرب العالمين لم يأمرنا بإنظار المعسر فقط، بل بيّن أن التنازل عن الدين أو بعضه صدقة عظيمة، وخير لصاحبها عند الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَن أنظَرَ مُعسِرًا أو وضَعَ عنه أظَلَّه اللهُ في ظِلِّه" رواه المسلم، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: " إنَّ رجلًا لم يعملْ خيرًا قطُّ، وكان يُداينُ الناسَ، فيقولُ لرسولِه: خُذْ ما تيسَّر، واتركْ ما عَسُرَ و تجاوزْ، لعل اللهَ يتجاوزُ عنا، فلما هلك قال اللهُ له: هل عملتَ خيرًا قطُّ؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلامٌ، وكنتُ أُداينُ الناسَ، فإذا بعثتُه يتقاضى قلتُ له: خُذْ ما تيسَّرَ، و اترُكْ ما عَسُرَ، وتجاوزْ، لعل اللهَ يتجاوزُ عنا، قال اللهُ تعالى: قد تجاوزتُ عنك " رواه البخاري.

فما أعظم هذا الموقف! رجل لم يكن نبيًا ولا شهيدًا، لكنه رحم المعسرين، فرحمه الله، وتجاوز عن تقصيره بسبب رحمته بعباد الله، إنها رسالة لكل من يملك مالًا، أو يستطيع أن يسهم في سداد دين معسر.

أيها المبارك، قد يقول شاب: لا أملك آلاف الريالات حتى أقضي ديون الناس، والجواب: ليس المطلوب أن تتحمل الدين كله، فربما اجتمع عشرة أشخاص، فسدد كل واحد جزءًا، حتى انقضت كربة ذلك المعسر، وقد تكون سببًا في جمع المتبرعين، أو تدل أهل الخير على حالة تستحق، أو تتواصل مع الجمعيات المختصة، أو تشارك بما تستطيع، ولو كان قليلًا، فالله لا ينظر إلى حجم المال، وإنما ينظر إلى صدق القلب والإخلاص.

أيها الشباب، كان عبد الله بن المبارك رحمه الله إذا علم أن أحدًا أثقلته الديون، سعى في قضاء دينه سرًّا، حتى لا يجرح مشاعره، وكان يرى أن إدخال السرور على المسلم من أجلِّ القربات، وكان كثير من السلف الصالح إذا علموا بمعسر، جمعوا له المال فيما بينهم، ثم أوصلوه إليه من غير أن يشعروا الناس بحاجته، حفاظًا على كرامته، لقد كانوا يدركون أن من أعظم الصدقات ما حفظ ماء وجه المسلم.

أيها المبارك، هل سألت نفسك: كيف نحيي هذه العبادة في قلوبنا؟ والجواب: ابحث عن المعسرين في محيط أقاربك وجيرانك قبل أن تبحث عنهم بعيدًا، ثم ساهم بما تستطيع، ولو كان قليلًا، وشارك في حملات سداد الديون الموثوقة، ولا تحرج المحتاج، واحفظ كرامته، واجعل عطاءك سرًا بينك وبين الله، فإذا كنت دائنًا، فأمهل المعسر، أو خفف عنه، أو أسقط جزءًا من دينه إن استطعت.

فيا أخي، بعض الناس يحتاج إلى من يرفع عنه دينًا أثقل قلبه، أو من يعيد أبًا إلى أولاده، أو من يرفع عن أمٍّ همَّ الديون، أو من يفتح باب الأمل لإنسان كاد اليأس أن يغلبه، لذا اجعل لك سهمًا في هذا الباب، ولو بالقليل، فربما كان سببًا في فك كربة عظيمة.

واعلم أن ما تنفقه اليوم في قضاء دين معسر، قد يكون غدًا سببًا لأن يقضي الله عنك ديون الدنيا والآخرة، وييسر لك أمورك، ويظلك في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهنيئًا لمن جعل جزءًا من ماله، أو وقته، أو جاهه، سببًا في إعادة البسمة إلى بيت أنهكته الديون، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، والجزاء من جنس العمل.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة كفالة اليتيم

قد ترى في الطريق أطفالا يضحكون ويلعبون مع بعضهم، فتظن أن السعادة لا تفارق قلوبهم ووجوههم، لكن الحقيقة أن من بينهم طفلا غلبت الهموم والآلام على قلبه وإن تظاهر بالسعادة لزملائه، لأنه فقد من كان سنده وداعمه، وقد ترى أمًّا تكافح صباحًا ومساءً لتربي أبناءها بعد وفاة زوجها، تخفي أمامهم دموعها وآلامها، وتبتسم لهم حتى لا يشعروا باليتم مرتين؛ مرة بفقد الأب، ومرة بانكسار الأم.

إنها صور تتكرر في مجتمعاتنا، لكنها تمر على كثير من الناس مرورًا عابرًا، بينما جعل الإسلام رعاية هؤلاء من أعظم أبواب القرب إلى الله، إنها: عبادة كفالة اليتيم؛ وهي من العبادات الخفية التي يغفل عنها كثير من الشباب والفتيات، عبادة تملأ بيتًا أملًا، وتجبر قلبًا منكسرًا، وتصنع إنسانًا صالحًا ينفع أمته.

أيها الشاب، هل سألت نفسك: لماذا اهتم الإسلام باليتيم؟، لأن اليتيم لم يفقد المال فقط، بل فقد السند والقدوة والأمان، لأنه يحتاج منا إلى كلمة حانية أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى: ٩)، وقال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، فالإسلام لم يكتفِ بالنهي عن ظلم اليتيم، بل دعا إلى إصلاح حياته، ورعاية مستقبله، وحفظ كرامته.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني: السَّبَّابةَ والوسطى " رواه الترمذي، فأي منزلة أعظم من أن يكون الإنسان قريبًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة؟، إنها جائزة لقلبٍ امتلأ رحمة، ويدٍ امتدت لتحتضن يتيمًا.

أيها المبارك، يظن بعض الناس أن كفالة اليتيم تعني تحويل مبلغ مالي كل شهر فقط، وهذا جزء من الكفالة، لكنه ليس كل شيء، فاليتيم يحتاج إلى: من يسأل عنه، ومن يشجعه إذا نجح، ومن يمسح على رأسه إذا حزن، ومن يشعره بأنه محبوب، ومن يعوضه شيئًا من الحنان الذي فقده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل شكا قسوة قلبه: " إنْ أردْتَ تَلْيِينَ قلبِكَ، فَأَطْعِمْ المِسْكِينَ، وامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ " رواه أحمد، ففي هذا الحديث لم يقل: أعطه مالًا، بل وجّه إلى اللمسة الحانية التي تعيد إليه الشعور بالأمان.

يا أخي، إن أعظم من يستحق التقدير بعد اليتيم هي أمه، فهي من تحملت همَّ التربية، والتعليم، والإنفاق، والمتابعة، ومع ذلك تخفي آلامها حتى لا ينهار أبناؤها، تمر عليها ليالٍ لا تنام فيها، تفكر في مستقبل أطفالها، وكيف تعوضهم عن فقد والدهم، فالوقوف مع أم اليتيم هو في الحقيقة وقوف مع الأسرة كلها، فمساعدتها، وتخفيف أعبائها، وتشجيعها، وتعليم أبنائها، كل ذلك من أعظم صور كفالة اليتيم.

أيها الشباب، كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يجلس إلى طعامه حتى يدعو معه يتيمًا إن وجد، وكان كثير من السلف يجعلون للأيتام نصيبًا من أموالهم، ويخفون ذلك

حتى لا يجرحوا مشاعرهم، وكانوا يرون أن اليتيم لا يحتاج إلى الصدقة فقط، بل إلى حسن المعاملة، والابتسامة، والإحساس بأنه فرد كريم في المجتمع.

أيها الشاب، قد لا تستطيع أن تكفل يتيمًا كامل الكفالة، لكنك تستطيع أن تكون شريكًا في ذلك، بأن: تساهم في رسومه الدراسية، أو توفر له حقيبته المدرسية، أو تعينه على علاج، أو تهديه في العيد، أو تدعوه مع أولادك ليشعر بدفء الأسرة، أو تساعد أمه في قضاء احتياجاتها، أو تشارك في برامج الكفالة الموثوقة، كل ذلك داخل في أبواب الإحسان، والله لا يضيع أجر المحسنين.

ومع ذلك تجد من يغفل عن هذه العبادة، والسبب: أنهم يظنون أن المؤسسات والجمعيات الخيرية قد قامت بالمهمة، وينسون أن اليتيم لا يحتاج إلى مؤسسة فقط، بل يحتاج إلى إنسان يشعر به، فقد يكون اليتيم في بين جيرانك، أو بين أقاربك، أو في مدرستك، أو في مسجدك.

فيا صديقي، ربما لا تستطيع أن تغيّر العالم كله، لكنك تستطيع أن تغيّر عالم يتيم واحد، وتذكر أن أعظم الكفالة ليست التي تُعلن في وسائل الإعلام، وإنما تلك التي لا يعلم بها إلا الله، فتكون خبيئة بينك وبين ربك، فابحث عن يتيم تكفله، أو أمٍّ أرملة تعينها، أو أسرة فقدت عائلها فتشارك في جبر كسرها.

فما أجمل أن تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وقد نلت شرف جواره، لأنك كنت سببًا في إسعاد يتيم، وجبر قلبٍ مكسور، وإحياء أملٍ كاد أن ينطفئ.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الباب السادس

العبادات الاجتماعية

عبادة الإحسان إلى كبار السن

تمر الأيام سريعًا، فالطفل يكبر، والشاب يشتد عوده، ثم لا يلبث أن يشيب شعره، ويضعف جسده، ويحتاج إلى من كان بالأمس يحتاج إليه، وهكذا هي سنة الله في عباده، ولذلك جعل الإسلام لكبار السن مكانة عظيمة، وأوصى بالإحسان إليهم، واحترامهم، وتوقيرهم، والرفق بهم، سواء كانوا من الوالدين، أو الأقارب، أو الجيران، أو الأصدقاء، أو حتى من الغرباء، إنها عبادة خفية يغفل عنها كثير من الناس، عبادة الإحسان إلى كبار السن، وهي من أحب الأعمال إلى الله، وأعظمها أثرًا في المجتمع.

أيها الشاب، حين ترى رجلًا كبيرًا في السن يمشي ببطء، أو امرأةً أثقلها العمر، فلا تنظر إلى ضعف أجسادهم، بل انظر إلى أعمار قضوها في العمل، والتعب، وتربية الأولاد، وخدمة المجتمع، لقد كانوا يومًا ما شبابًا أقوياء، كما أنت اليوم، وسيأتي يوم تصبح فيه مكانهم، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم: ٥٤)، فإذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة، رقَّ قلبه، وأحسن إلى من بلغوا هذه المرحلة.

أيها المبارك، قد يظن البعض أن الإحسان إلى كبار السن يعني الإنفاق عليهم فقط، ولكن الإحسان أوسع من ذلك، فقد يكون: بابتسامة تدخل السرور إلى قلوبهم، أو كلمة احترام وتقدير، أو الصبر على بطء حديثهم أو تكرار كلامهم، أو مساعدتهم في

قضاء حوائجهم، أو زيارتهم عند مرضهم، أو الاتصال بهم والسؤال عن أحوالهم، أو الجلوس معهم وإيناس وحدتهم، أو تقديمهم في المجالس، أو الإصغاء إلى حديثهم باهتمام، ورب كلمة طيبة تُقال لكبير في السن، تكون أحب إليه من هدية ثمينة.

أيها الشباب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ من إجلالِ اللَّهِ إِكْرامَ ذي الشَّيبةِ المسلِمِ " رواه أبوداود، فتوقير الكبير ليس عادة اجتماعية فقط، بل هو عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، وقال صلى الله عليه وسلم: " ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا، و يعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا " رواه الترمذي، فالمجتمع الذي يحترم كباره، مجتمع يعرف الوفاء، ويحفظ الجميل، ومن أعظم كبار السن حقًا هم الوالدان، فكل ما ورد في بر الوالدين يدخل في هذا الباب، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣)، تأمل، نهى الله حتى عن كلمة "أف"، لأنها قد تجرح قلبًا أضعفه الكبر.

يا أخي، والإحسان على كبار السن لا يقتصر على الوالدين، فالعم بمنزلة الأب، والخالة بمنزلة الأم، وكذلك كبار السن من الأقارب والجيران، بل وحتى من لا تعرفهم، فقد ترى رجلًا مسنًا يحمل حاجاته، أو امرأةً كبيرة تبحث عن من يعينها، فبادر إلى مساعدتهم، وليس شرطًا أن يكونوا مسلمين؛ فالإحسان خلق إسلامي عام، وقد أحسن النبي صلى الله عليه وسلم إلى غير المسلمين، وأمر بالعدل والإحسان مع الناس جميعًا.

أيها المبارك، كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا رأى شيخًا كبيرًا في الطريق، نزل عن دابته، وأركبه مكانه، وربما أعطاه عمامته أو شيئًا ينتفع به، إكرامًا له، وكان الإمام أحمد رحمه الله يوقر كبار السن، ويجلسهم في صدر المجلس، ويرى أن توقيرهم من تعظيم شعائر الله، وكان السلف إذا تكلم كبير السن، أنصتوا له، ولم يقاطعوه، احترامًا لعمره وخبرته.

أيها الشباب، ومن أعظم صور الإحسان التي يغفل عنها الشباب اليوم، أن يجلسوا مع كبار السن، فكثير منهم يعيشون في عزلة، يتمنون من يطرق بابهم، أو يسأل عنهم، أو يستمع إلى ذكرياتهم، ورب ساعة تقضيها مع رجل كبير أو امرأة مسنة، تدخل على قلوبهم من السرور ما لا يعلمه إلا الله.

واعلم أن الكبير عندما يضعف، قد يتغير مزاجه، وقد يكرر كلامه، وقد ينسى، وقد تكثر طلباته، فلا تغضب، وتذكر أن هذه طبيعة المرحلة التي يعيشها، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (النحل: ٧٠)، فكما صبر عليك صغيرًا، فاصبر عليه كبيرًا.

فيا أولادي، إذا رأيتم كبيرًا في السن، فتذكروا أن الأيام تمضي سريعًا، وأنكم – إن كتب الله لكم العمر – ستصلون إلى المرحلة نفسها، فازرعوا اليوم ما تحبون أن تحصدوه غدًا، لذا أكرموا آباءكم وأمهاتكم، وأحسنوا إلى أعمامكم وعماتكم، وأخوالكم وخالاتكم، وتفقدوا جيرانكم من كبار السن، وساعدوا الغرباء منهم، ولا تبخلوا عليهم بابتسامة، أو

سلام، أو كلمة طيبة، أو دعوة صادقة، فقد يكون هذا الموقف الصغير سببًا في رضا الله عنكم، وسببًا لأن ييسر لكم من يكرمكم إذا كبرتم.

ولعل أعظم ما يقدمه الإنسان لكبير السن أن يشعره بأنه ما زال عزيزًا محترمًا، له مكانته وقيمته بين الناس، فكم من دعوةٍ خرجت من قلب شيخ أو عجوز في جوف الليل، كانت سببًا في فتح أبواب الخير لمن أحسن إليهما.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الإصلاح بين الناس

كم من زوجين افترقا بسبب كلمة، وكم من أخوين فرقت بينهما خصومة على ميراث، أو سوء فهم، أو كلمة غضب، حتى مرت السنوات، وكبر الأبناء وهم لا يعرفون أبناء عمومتهم، وكم من جارين عاشا سنوات في مودة ومحبة، ثم فرقت بينهما مشكلة صغيرة، فأصبح كل واحد منهما يعبر الطريق حتى لا يرى الآخر، بل كم من أسرٍ كاملة انقسمت، وتوارث الأبناء والأحفاد الخصومات، حتى نسي الجميع سبب الخلاف، وبقيت القلوب متباعدة، ثم تمضي الأيام عليهم جميعا، وكل واحد منهم يتمنى أن يعود الصفاء، ولكنه ينتظر من يمد جسر الصلح بينهما.

وفي وسط هذه المشاهد المؤلمة، يظهر رجل أو امرأة يحمل قلبًا محبًا للخير، يسعى بين الطرفين، ويهدئ النفوس، ويذكرهم بالله، حتى تعود الابتسامة، وتتصافح الأيدي، وتذرف الدموع فرحًا بعد سنوات من القطيعة، إنها عبادة الإصلاح بين الناس، عبادة عظيمة يغفل عنها كثير من الناس، وهي من أجلِّ العبادات الخفية التي يحبها الله.

أيها الشباب، قد يظن بعض الناس أن الإصلاح بين المتخاصمين عمل اجتماعي فقط، بينما جعله الله من أجلِّ القربات، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ

نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)، تأمل كيف ختم الله الآية بقوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، إنه وعد كريم لمن جعل همه جمع القلوب لا تفريقها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَلَا أَدُلُّكُم على أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ، لا أقولُ: إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ " رواه أبوداود، إنها منزلة عظيمة؛ فالإصلاح بين الناس من أفضل الأعمال بعد الفرائض.

أيها الشاب، هل سألت نفسك: كم بيتًا أنقذه مصلح؟، فرب كلمة صادقة من مصلح حكيم أعادت زوجين إلى بعضهما بعد أن كانت أوراق الطلاق على الطاولة، ورب جلسة هادئة أنهت خصومة بين أخوين استمرت عشرين سنة، ورب زيارة لمريض أعادت صديقين إلى المحبة بعد قطيعة طويلة، ورب نصيحة مخلصة أوقفت نزاعًا كان سيصل إلى المحاكم، فالمصلح لا يبني جدارًا، بل يبني أسرة، ولا يجمع شخصين فقط، بل يجمع أجيالًا كاملة.

يا أخي، كان الحسن البصري رحمه الله إذا بلغه أن بين اثنين خصومة، سعى بنفسه للإصلاح، ويقول: "إصلاح ذات البين من أفضل أعمال المؤمن"، وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يبذل من ماله أحيانًا ليطفئ الخصومات، ويرى أن المال الذي يُنفق لإصلاح القلوب هو من أفضل الأموال، وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوصي ولاته أن يبدأوا بالإصلاح قبل إصدار الأحكام، لأن اجتماع القلوب أحب إلى الله من استمرار

النزاعات، لقد فهم السلف الصالح أن الإصلاح ليس تدخلًا فيما لا يعني الإنسان، بل هو عبادة عظيمة إذا كانت بالحكمة والإخلاص.

أيها المبارك، ليس كل من تدخل بين اثنين أصلح، فالمصلح يحتاج إلى: الإخلاص لله أولا، لا حبًا للظهور، والعدل وعدم الميل إلى أحد الطرفين، والصبر، فقد يطول طريق الإصلاح، وإلى حفظ الأسرار، فلا ينقل الكلام بين الناس، وحسن اختيار الوقت والكلمة، والدعاء للطرفين بالتوفيق.

أيها الشباب، إذا رأيتم خصومة بين صديقين، أو قريبين، أو زوجين، فلا تكونوا وقودًا للنزاع، ولا تنقلوا الكلام، ولا تزيدوا النار اشتعالًا، بل كونوا ممن يطفئون الحرائق قبل أن تكبر، وربما كانت رسالة صادقة، أو زيارة هادئة، أو كلمة حكيمة، سببًا في عودة أسرة كاملة إلى السعادة، واعلموا أن الناس قد ينسون كثيرًا من أعمالكم، لكنهم لن ينسوا أبدًا أنكم كنتم سببًا في عودة أخٍ إلى أخيه، أو زوجٍ إلى زوجته، أو ابنٍ إلى والديه.

فيا أولادي، ابحثوا عن القلوب المتخاصمة، قبل أن تبحثوا عن الأعمال العظيمة، فإن جمع القلوب عبادة يحبها الله، ومن أصلح بين اثنين ابتغاء وجه الله، كتب الله له أجرًا عظيمًا، وجعل على يديه من الخير ما قد يمتد أثره إلى أجيال لا يعلمها إلا هو سبحانه.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة التغافل والتسامح

ما أكثر المواقف التي نتعرض لها كل يوم!، فهذه كلمة لم تعجبنا، وتلك رسالة أخطأت في حقنا، أو تصرفًا أغضبنا، أو وعدًا لم يُوفَّ به، ولو وقف الإنسان عند كل زلة، وحاسب الناس على كل كلمة، وغضب من كل موقف، لما بقيت صداقة، ولا استقرت أسرة، ولا هدأت حياة، فالزوج يخطئ، والزوجة تخطئ، والأب يخطئ، والأم تخطئ، والمعلم يخطئ، والطالب يخطئ، والجار يخطئ، والصديق يخطئ، لأن الكمال لله وحده.

ومن هنا جاءت عبادة عظيمة يغفل عنها كثير من الناس، وهي عبادة التغافل والتغاضي والتسامح، وهي من العبادات التي يجازي عليها رب العالمين أعظم الجزاء، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن: ١٤).

أيها الشباب، بعض الناس يحاسب زوجته على كل كلمة، ويعاتب صديقه على كل موقف، ويُذكِّر أخاه بكل خطأ، ويفتح ملفات الماضي في كل خلاف، فيعيش متعبًا، ويُتعب من حوله، أما المؤمن الحكيم، فيدرك أن الحياة لا تستقيم إلا بشيء من التغافل عن الأخطاء.

والتغافل ليس ضعفًا، بل هو قوة نفس، واتساع صدر، ورغبة في بقاء المودة، ومن أروع صور التغافل ما ذكره الله عن نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم حين وقع بعض ما وقع

في بيته، فقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ (التحريم: ٣)، قال المفسرون: أخبر ببعض الأمر، وتغافل عن بعضه، تكرمًا وإحسانا للعشرة، وهكذا كانت أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم؛ لا يستقصي الزلات، ولا يتتبع الهفوات.

أيها المبارك، تأمل قوله سبحانه:﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، فهو لم يقل: والعافين فقط، بل ختمها بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وكأن العفو والتسامح من أعلى درجات الإحسان، وقال سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢)، فما أعظم هذا السؤال!، من منا لا يريد مغفرة الله؟، إذن فلنعفُ عن الناس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ ، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَه عندَ الغَضبِ " رواه البخاري، فكم من إنسان هدم سنوات من المحبة بسبب لحظة غضب، وكم من آخر كظم غيظه، فسكنت النفوس، وعادت المياه إلى مجاريها.

يا أخي، يظن بعض الناس أن التسامح خدمة يقدمها لغيره، والحقيقة أن أول من ينتفع به هو المتسامح، لأن الحاقد يعيش أسيرًا للذكريات، أما المتسامح فينام وقلبه خفيف، ونفسه مطمئنة، ولذلك قال بعض السلف: "ما رأيت راحة للقلب مثل العفو عن الناس"، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "ما زال التغافل من فعل الكرام"، وقال سفيان الثوري رحمه الله: "ما زالت المروءة في التغافل"، لقد فهموا رحمهم الله أن الإنسان إذا دقق في كل صغيرة، خسر الناس جميعًا.

ومن أعظم قصص التسامح ما وقع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين تكلم أحد أقاربه في حادثة الإفك، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلما علم بما قال، أقسم أن يقطع عنه النفقة، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٢٢)، فلما سمعها أبو بكر قال: "بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي"، ثم أعاد النفقة إليه، فما أعظمها من نفس!، أساء إليه، ثم عاد يحسن إليه، طمعًا في مغفرة الله.

يا أخي، وحتى نتغافل ونتسامح فيما بيننا: لا تجعل كل خطأ قضية، والتمس لأخيك العذر قبل أن تحكم عليه، وتذكر حسنات الناس قبل سيئاتهم، وإذا اعتذر إليك أحد فاقبل عذره، ولا تستدع أخطاء الماضي عند كل خلاف، واسأل نفسك قبل الغضب: هل يستحق هذا الموقف أن أخسر إنسانًا أحبه؟.

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، لا تبحثوا عن أصدقاء بلا أخطاء، فإنكم لن تجدوا، ولا تطلبوا زوجًا أو زوجةً كاملة، فالكمال لله وحده، ولا تجعلوا كل كلمة سببًا لقطيعة، وكل هفوة سببًا لخصومة، بل كونوا أصحاب قلوب واسعة، ونفوس متسامحة، وصدور رحبة،

وتذكروا أن أجمل الناس ليس من لا يُخطئ، وإنما من إذا أخطأ سامح، وإذا غضب حلم، وإذا قدر عفا، فإن التغافل ليس غفلة، وإنما هو حكمة، والتسامح ليس ضعفًا، وإنما هو رفعة، والعفو ليس خسارة، وإنما هو تجارة مع الله، قال سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، وما أعظمها من مكافأة، أن يكون أجرك على الله مباشرة.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الحياء والعفاف

قد يظن بعض الناس أن الحياء مجرد خجل، أو أن العفاف يقتصر على لباس المرأة، لكن الحقيقة أن الحياء عبادة يعيشها القلب قبل أن تظهر على الجوارح، وأن العفاف منهج حياة يحفظ الإنسان في خلوته كما يحفظه أمام الناس، إنها عبادة خفية؛ عبادة الحياء والعفاف، لأن حقيقتها تظهر حين يغيب الرقيب البشري، ويبقى العبد مع ربه وحده.

كم من إنسان يستحي من الناس، لكنه لا يستحي من نظر الله إليه، وكم من شاب أو فتاة يحافظان على صورتهما أمام المجتمع، فإذا أغلقت الأبواب، أو خلا أحدهما بهاتفه، أو جلس خلف شاشة لا يراه أحد، تغيرت الأحوال، لكن المؤمن الصادق يستحي من الله قبل أن يستحي من الناس.

أيها الشباب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الإيمانُ بضعٌ وسِتُّونَ شُعبةً، والحَياءُ شُعبةٌ مِنَ الإيمانِ " رواه البخاري، وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم: " الحَياءُ لا يَأتي إلَّا بخَيرٍ " رواه البخاري، فالحياء ليس ضعفًا، ولا ترددًا، ولا انطواءً، بل هو قوة إيمانية تمنع صاحبها من الوقوع فيما يغضب الله، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياءً، كما وصفه الصحابة رضي الله عنهم، ومع ذلك كان أشجع الناس وأصدقهم وأقواهم في الحق.

يا أخي، والحياء لا يكون مع الناس فقط، بل الحياء الكامل أن تستحي من الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " استَحيوا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ، قُلنا: يا رسولَ اللَّهِ إنَّا لنَستحيي والحمد لله، قالَ: ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ، وما وَعى، وتحفَظَ البَطنَ، وما حوَى، ولتَذكرِ الموتَ والبِلى، ومَن أرادَ الآخرةَ ترَكَ زينةَ الدُّنيا، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا يعني: منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ " رواه الترمذي، فالحياء الحقيقي أن يعلم المسلم أن الله يراه في كل مكان.

أيها المبارك، كان الناس قديمًا إذا أرادوا الخلوة، اختلوا في غرفهم، أما اليوم فقد أصبحت الخلوة مع الهاتف الصغير، فقد يجلس الشاب وحده، أو الفتاة وحدها، ولا يراهما أحد من البشر، لكن الله يراهما، وهنا تظهر حقيقة الحياء والعفاف، فالعفيف لا يرسل صورة محرمة، ولا ينظر إلى ما حرم الله، ولا يتابع ما يفسد قلبه، ولا يجعل الإنترنت بابًا لانتهاك الحياء.

أيها الشاب، ومن صور الحياء والعفاف التي يغفل عنها كثير من الناس، التهاون في كشف العورات داخل المنزل، فقد يتساهل بعض الآباء أو الأمهات في تغيير الملابس أمام الأبناء بعد أن يكبروا، أو يتساهل بعض الشباب في اللباس أمام أخواته ومحارمه، أو تتهاون بعض الفتيات في ستر ما يجب ستره أمام إخوانهن أو الأطفال المميزين، وقد أرشد القرآن إلى تربية الأبناء على الاستئذان في أوقات الخصوصية، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

﴿لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ (النور: ٥٨)، وهذا يدل على عناية الإسلام بحفظ الخصوصية، وغرس الحياء منذ الصغر.

أيها الشباب، لقد جعل الله الحياء زينة للمرأة، كما جعل العفة تاجًا لها، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣١)، فالحجاب ليس قيدًا، بل هو صيانة وكرامة، يحفظ للمرأة مكانتها، ويجعل قيمتها في دينها وعقلها وأخلاقها، لا في إظهار زينتها، والرجل مأمور كذلك بغض البصر، والعفة، وحفظ الجوارح، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور: ٣٠)، فالرجل العفيف لا يستغل النساء، ولا يلاحق المحرمات، ولا يجعل هاتفه وسيلة لإفساد نفسه أو غيره.

يا أخي، كان السلف الصالح يحرصون على ستر أنفسهم، وغض أبصارهم، وصيانة قلوبهم، لأنهم يعلمون أن أعظم العفاف ما كان في الخلوات، وكانوا يقولون: "من أصلح سريرته أصلح الله علانيته".

وحتى تربي نفسك على الحياء والعفاف: استشعر أن الله يراك في كل حين، وغض بصرك عما حرم الله، واستر على بيتك وأهلك، وعود أهلك على الاستئذان واحترام الخصوصية، ولا تجعل هاتفك بابًا لمعصية الله، واحرص على اللباس المحتشم داخل البيت وخارجه بما يوافق أحكام الشريعة، وأكثر من الدعاء أن يرزقك الله العفة والحياء.

فيا أولادي، قد تستطيع أن تخفي معصيتك عن الناس، لكنك لا تستطيع أن تخفيها عن رب الناس، لذا احفظ حياءك؛ فإنه زينة الإيمان، واحفظ عفافك؛ فإنه حصن القلب، واعلم أن الدنيا كلها لا تستحق أن تخسر بسببها نقاء قلبك، أو حياءك، أو رضا ربك.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الدلالة على الخير

كم من إنسان يعيش في غفلة، جاهلا بطريق الخير، وكم من شاب يبحث عن من يأخذ بيده إلى المسجد، وكم من فتاة تتمنى من يعلمها عبادة، أو يذكرها بخلق، أو يفتح لها بابًا من أبواب الطاعة، وقد يكون من بيننا من ضل الطريق، أو ضعفت همته، أو غلبته شهواته، أو أثقلته ذنوبه، وهو في أمسِّ الحاجة إلى كلمة صادقة، أو نصيحة مخلصة، أو يد رحيمة تدله على الخير، ومن هنا كانت عبادة الدلالة على الخير من أعظم العبادات الخفية التي يغفل عنها كثير من الناس، إنها عبادة قد لا تستغرق منك إلا دقائق، ولكن ثوابها يمتد سنوات، وربما بقي بعد وفاتك.

أيها الشاب، قد تظن أن الخير لا يكون إلا ببناء مسجد، أو كفالة يتيم، أو التصدق بمال كثير، لكن ربما كانت كلمة صادقة، أو رسالة قصيرة، أو كتاب تهديه، أو مقطع نافع ترسله، سببًا في هداية إنسان، فيكتب الله لك مثل أجره، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَن دَلَّ على خَيرٍ فله مِثلُ أجرِ فاعِلِه " رواه مسلم، تأمل هذا الفضل العظيم، لم يقل: له أجر واحد، بل قال: مثل أجر فاعله، من غير أن ينقص من أجر العامل شيء، فإذا دللت إنسانًا على صلاة الضحى، أو بر الوالدين، أو الصدقة، أو حفظ القرآن، أو صلة الرحم، فعمل بذلك سنوات، بقي الأجر يجري لك بإذن الله.

أيها المبارك، تأمل هذا الحديث، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: " فواللهِ لَأن يَهديَ اللهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا خَيرٌ لكَ مِن أن يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ " رواه البخاري، وكانت حمر النعم من أنفس أموال العرب، فضرب بها النبي صلى الله عليه وسلم المثل لعظم الأجر، فكيف إذا هدى الله بك أكثر من شخص؟، وكيف إذا كان من اهتدى على يديك سببًا في هداية غيره؟، إنها تجارة رابحة لا تنقطع.

يا أخي، يظن بعض الناس أن الدلالة على الخير تعني إلقاء الخطب والمحاضرات، وهذا مفهوم ضيق، فالخير أبوابه واسعة، ومن ذلك: أن تدل زميلك على كتاب نافع، أو تعلم طفلًا سورة من القرآن، أو ترشد شابًا إلى صحبة صالحة، أو تخبر محتاجًا بجهة خيرية تساعده، أو تنصح صديقًا بترك معصية، أو تعلم أحدًا دعاءً أو سنةً نبوية، أو تشجع مترددًا على عمل صالح، كل ذلك من الدلالة على الخير.

وليس المقصود أن تكون النصيحة قاسية أو جارحة حتى تدله على الخير، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، فالحكمة أن تعرف ماذا تقول، والموعظة الحسنة أن تعرف كيف تقول، ورب كلمة خرجت بلطف فتحت قلبًا مغلقًا، ورب كلمة قاسية أغلقت بابًا كان يمكن أن يُفتح.

أيها الشباب، كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يخرج إلى الناس يعلمهم القرآن والسنن، ويقول: "من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل"، وكان الإمام مالك رحمه الله إذا سأله طالب علم، لم يبخل عليه بما علمه، محتسبًا الأجر عند الله، وكان الإمام أحمد بن

حنبل يصبر على تعليم الناس، ويرى أن نشر العلم من أعظم القربات، لقد أدركوا رحمهم الله أن الخير إذا بقي حبيس الصدر مات، وإذا خرج إلى الناس أحيا القلوب.

يا أخي، اليوم أصبحت أبواب الخير أقرب من أي وقت مضى، فبضغطة زر تستطيع أن تنشر آية، أو حديثًا صحيحًا، أو علمًا نافعًا، أو محاضرة موثوقة، أو تذكر الناس بعبادة، لكن كما أن التقنية باب للخير، فهي باب للشر أيضًا، فاحذر أن تكون سببًا في نشر الشائعات، أو الأحاديث الضعيفة، أو المقاطع التي تفسد الأخلاق، واجعل هاتفك طريقًا إلى الجنة، لا وسيلة لتحمل أوزارًا لا تشعر بها.

فيا أولادي، لا تحتقروا أثر الكلمة الطيبة، قد تكتب رسالة قصيرة، فيتوب بسببها إنسان، وقد تهدي كتابًا، فيتغير به قلب، وقد تدعو صديقًا إلى صلاة الفجر، فيصبح من المحافظين عليها، وقد تعلم طفلًا دعاءً، فيردده سنوات طويلة، كل ذلك يجري في ميزان حسناتك، فلا تقل: ماذا أستطيع أن أقدم؟، بل اسأل نفسك كل يوم: من الذي سأدله اليوم على خير؟.

واجعل لك سهمًا دائمًا في هداية الناس، وتعليمهم، وتشجيعهم على الطاعات، فإن المؤمن لا يعيش لنفسه فقط، بل يعيش ليكون مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إنَّ الدالَ على الخيرِ كفاعلِه** " رواه الترمذي.

فما أعظمها من عبادة خفية!، قد لا يراك الناس وأنت تنصح، أو تعلم، أو تشجع، لكن الله يراك، ويكتب لك مثل أجور كل من انتفع بما دللته عليه، ما دام الخير جاريًا بينهم.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الرفق بالضعفاء

قد يضع الله بين يديك إنسانًا أضعف منك، كطفلٍ صغير ينتظر عطفك، أو زوجةٍ تركت بيت والديها لتعيش معك، أو عاملٍ جاء من بلد بعيد يبحث عن لقمة عيش كريمة، أو خادمة تركت أبناءها لتخدم أسرتك، أو موظفٍ بسيط يعمل تحت إدارتك، هنا يظهر معدن الإنسان الحقيقي في التعامل معهم، فليس الكرم في الأخلاق أن تحسن إلى من هو أقوى منك، وإنما الكرم أن ترحم من لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فتكون قد عبدت الله بعبادة من أعظم العبادات الخفية التي يغفل عنها كثير من الناس، وهي: عبادة الرفق بالضعفاء، والرحمة بمن جعلهم الله تحت أيدينا.

أيها الشباب، بعض الناس إذا أصبح مسؤولًا على خادمٍ أو عاملٍ تغيرت أخلاقه، فظن أنه يملك أمره كله، فيكلفه فوق طاقته، ويؤخر راتبه، ويرفع صوته عليه، وربما أهانه أمام الناس، وينسى أن هذا الضعيف له رب يسمع شكواه، ويرى دمعته، ويعلم حاجته، قال صلى الله عليه وسلم: " هُم إخوانُكم خَوَلُكم، جَعَلَهم اللهُ تحت أيْديكم، فمَن كان أخُوه تحت يَدِه فلْيُطعِمْه ممَّا يأكُلُ، ويُلبِسْه ممَّا يَلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإنْ كَلَّفتُموهم فأعينُوهم" رواه البخاري، يا لها من وصية عظيمة! لم يقل: عبيدكم، بل قال: إخوانكم، ليغرس في القلوب أن الكرامة الإنسانية لا تزول بالفقر، ولا بالعمل، ولا باختلاف الجنسية أو اللون.

يا أخي، إن من أعظم الوصايا في هذا الباب قول الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، فالعدل يمنع الظلم، والإحسان يزيد على العدل رحمةً وفضلًا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عائِشةُ، إنَّ اللهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العُنفِ، وما لا يُعطي على ما سِواه " رواه مسلم، تأمل، ليس الرفق مجرد خلق حسن، بل هو سبب لنيل محبة الله وعظيم عطائه، فكم من كلمة لينة أصلحت قلبًا، وكم من معاملة حسنة غيرت حياة إنسان.

أيها الشاب، ومن صور الظلم المنتشرة اليوم استغلال حاجة الضعفاء، وذلك بتأخير حقوقهم، أو إنقاصها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أعطوا الأجيرَ أجرَهُ قبلَ أن يجفَّ عرقُهُ " رواه ابن ماجة، فكم من عامل ينتظر راتبه ليطعم أبناءه، أو يسدد دينه، أو يعالج مريضًا في بلده، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم الضعفاء فقال: "واتَّقِ دَعوةَ المَظلومِ؛ فإنَّه ليس بينَه وبينَ اللهِ حِجابٌ " رواه البخاري، فربما كانت دمعة عامل، أو دعوة خادمة، أو تنهيدة أرملة، سببًا في ذهاب البركة من مال الإنسان وحياته.

أيها المبارك، هل سألت نفسك: كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل من تحت يده؟ قال أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنوات: " خدمتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عشرَ سنينَ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه: لِمَ صنعتَه، ولا لشيءٍ تركتُه: لِمَ تركتَه، وكان رسولُ اللهِ من

أحسنِ الناسِ خُلُقًا " رواه البخاري، تأمل، عشر سنوات، ولم يسمع كلمة تأفف واحدة، فأي رحمة هذه؟، وأي مدرسة تربوية أعظم من هذه؟.

أيها الشباب، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى خادمًا يحمل حملًا ثقيلًا، ساعده بنفسه، ويقول: "لا تكلفوه ما لا يطيق"، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشتري لخادمه من الطعام واللباس مثلما يشتري لنفسه، امتثالًا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان كثير من السلف إذا أخطأ خادمهم، تذكروا عفو الله عنهم، فعفوا عنه، وقالوا: "نرجو أن يعفو الله عنا كما عفونا".

يا أخي، إذا أردت أن تتمثل هذه العبادة، فلا تكلف أحدًا فوق طاقته، وبادر بدفع الحقوق في وقتها، واشكر من أحسن إليك، ولو كان عاملًا بسيطًا، ولا ترفع صوتك على الضعفاء، واجعل الرحمة تسبق العقوبة، وتذكر أن القوة الحقيقية في ضبط النفس، لا في إذلال الآخرين.

فيا أولادي، قد لا تكون اليوم مسؤولًا عن أحد، لكن الأيام تتغير، فقد تصبح غدا زوجًا، أو تصبحي زوجة، أو تكون مديرًا، أو صاحب مؤسسة، أو رب أسرة، وحينها تذكر أن الله اختبرك بمن جعلهم تحت يديك، فلا تجعل قوتك سببًا في ظلمهم، بل اجعلها وسيلة لحمايتهم، والإحسان إليهم، والرفق بهم، ومن رحم الضعفاء، رحمه الله، ومن أحسن إليهم، أحسن الله إليه، ومن خفف عنهم مشقة الحياة، خفف الله عنه شدائد الدنيا

والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: " اللهُمَّ مَنْ وِلِي من أمْرِ أُمَّتِي شيئًا فَشَقَّ عليهم فاشْقُقْ علَيهِ، ومَنْ ولِيَ من أمرِ أُمَّتِي شيئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فارْفُقْ بِهِ " رواه مسلم.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة الستر على المسلمين

في زمن أصبحت فيه الهواتف في كل يد، والأخبار تنتشر في كل ثانية، بات بعض الناس يفرح إذا عثر على خطأ لأخيه، أو زلة لصديقه، أو عثرة لقريبه، فيسارع إلى نشرها، أو الحديث عنها، أو تداولها بين الناس، وكأن فضح الآخرين أصبح وسيلة للترفيه أو كسب الإعجابات، فينسى هؤلاء أن لكل إنسان ضعفًا، وأن كل بني آدم خطاء، وأن من رحمة الله بعباده أنه ستير يحب الستر، ويغفل الشاب والفتاة عن عبادة من أعظم العبادات الخفية، وهي: عبادة الستر على المسلمين، وحفظ أسرارهم، وعدم تتبع عوراتهم؛ فهي عبادة لا يعلمها إلا الله، لكنها سبب لستر العبد في الدنيا والآخرة.

أيها الشباب، ليس في هذه الدنيا إنسان معصوم، فقد يزل الإنسان في كلمة، أو تصرف، أو قرار، ثم يندم ويتوب، ولو شاء الله لفضحنا جميعًا بذنوبنا، فما منا أحد إلا وله تقصير، ولهذا كان على المؤمن إذا رأى زلة أخيه، لم يشمت به، ولم يسع إلى فضحه، بل دعا له بالهداية، وساعده على التوبة، وستره ما استطاع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَه اللهُ يَومَ القيامةِ " رواه البخاري، تأمل هذا الوعد العظيم، أنت تستر أخاك اليوم، فيسترك الله يوم تكون أحوج ما تكون إلى ستره، وأي إنسان لا يتمنى أن يستره الله يوم القيامة، حين تعرض الأعمال، وتنكشف الأسرار.

أيها المبارك، حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تتبع العثرات، وكشف العوارات، فقال: " يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضحُه في بيتِه " رواه أبوداود، فيا لها من عقوبة مخيفة!، من يفرح بفضيحة الناس، قد يبتليه الله بفضيحة أعظم منها؟، ومن كشف ستر أخيه، قد يكشف الله ستره أمام الناس.

يا أخي، هناك فرق كبير بين من يريد إصلاح أخيه، وبين من يريد التشهير به، فالناصح يأخذ أخاه على انفراد، ويذكره بالله، ويحفظ كرامته، أما من يريد الفضيحة، فإنه يشيع الخطأ، وينشره، ويجعله حديث المجالس، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: "من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه"، وهذه قاعدة تربوية عظيمة، يحتاجها كل شاب وفتاة في تعاملهم مع الآخرين.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "اغفروا للناس زلاتهم"، ولما أُتي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله برجل وقع في خطأ، لم يكن همه نشر خبره، وإنما كان يدعو له، ويقول: "نسأل الله له العافية"، فلم يكونوا يشمتون، لأنهم يعلمون أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن.

أيها الشباب، إن الإسلام لا يحب إشاعة الفاحشة، ولا نشر العيوب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

(النور: ١٩)، فكيف بمن كان سببًا في نشرها؟، والأصل أن المسلم يحب لأخيه الهداية، لا الفضيحة، ويفرح بتوبته، لا بانكساره.

فإذا أردت أن تطبق عبادة الستر، عليك بالتالي: إذا علمت بخطأ أخيك، فلا تنشره، وانصحه بينك وبينه، ولا تجرح كرامته، ولا تتجسس عليه، ولا تبحث عن عوراته، فإذا استشارك أحد في شخص، فتكلم بالحق بقدر الحاجة، دون ظلم أو زيادة، وأكثر من الدعاء: "اللهم استرني فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض عليك".

يا صديقي، لا تكن سببًا في كسر قلب تائب، أو إحراج مخطئ، أو نشر زلة ندم عليها صاحبها، فقد يكون سترك اليوم لإنسانٍ أخطأ، سببًا في أن يسترك الله في الدنيا وفي الآخرة، وتذكر أن أعظم نعمة بعد الهداية هي نعمة ستر الله، فإذا كان الله قد سترنا مع كثرة تقصيرنا، فمن الوفاء لهذا الفضل أن نستر عباد الله، ونعينهم على التوبة، لا أن نكون سببًا في فضيحتهم أو في إغلاق باب الرجوع إلى الله أمامهم.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادة جبر الخواطر

كم من إنسان يبتسم أمام الناس، بينما يحمل في داخله جبالًا من الهموم!، وكم من فتاة تضحك مع صديقاتها، ثم تعود إلى بيتها لتبكي من ألم لا يعلم به إلا الله!، وكم من شاب أنهكته الديون، أو أثقلته ضغوط الحياة، أو فقد عزيزًا عليه، أو أرهقه مرض، أو كسرته كلمة قاسية، وهو ينتظر من يشعر به، أو يربت على كتفه، أو يقول له: "أنا معك"، فالناس لا يحتاجون دائمًا إلى الأموال، بقدر حاجتهم إلى قلوب رحيمة، وكلمات صادقة، ونفوس تشاركهم آلامهم، إنها عبادة من أعظم العبادات الخفية التي يغفل عنها كثير من الناس، وهي: عبادة جبر الخواطر؛ فهي عبادة لا تحتاج إلى ثروة، ولا إلى منصب، وإنما تحتاج إلى قلب امتلأ رحمة، وروح تعيش هموم الآخرين.

أيها الشاب، ما أجمل أن تكون سببًا في جبر خاطر إنسان، سواء بكلمة تشجيع، أو بابتسامة صادقة، أو بزيارة مريض، أو بالجلوس مع مهموم، أو بالدعاء لمبتلى، أو بالدفاع عن مظلوم، أو بالعفو عن مخطئ، أو بإهداء هدية بسيطة، أو ربما تكون رسالتك القصيرة سببًا في أن ينام إنسان مطمئنًا بعد ليلة من القلق، إنها أعمال يراها الناس صغيرة، لكنها عند الله عظيمة إذا صدقت فيها النية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ

دَيْنًا، أوْ يَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِيَ مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ أعْتَكِفَ في هذا المسجدِ –يعني: مسجدَ المدينةِ– شهرًا، و مَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ و لَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ " رواه الطبراني، فكم من خاطر منكسر عاد إليه الأمل بسبب كلمة، أو موقف، أو ابتسامة لم تكلف صاحبها شيئًا.

يا أخي، بعض الناس يظن أن الصدقة لا تكون إلا بالمال، لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كُلُّ سُلامى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ كُلَّ يَومٍ تَطلُعُ فيه الشَّمسُ؛ يَعدِلُ بينَ الاثنَينِ صَدَقَةٌ، ويُعينُ الرَّجُلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ عليها، أو يَرفَعُ عليها مَتاعَه: صَدَقَةٌ، والكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطوةٍ يَخطوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُميطُ الأذى عَنِ الطَّريقِ صَدَقَةٌ " رواه البخاري، فكم من كلمة طيبة رفعت معنويات إنسان يائس، وكم من ثناء صادق أعاد الثقة إلى شاب فقد ثقته بنفسه، وكم من دعاء بظهر الغيب أراح قلبًا مهمومًا.

أيها الشباب، ومن أجمل صور جبر الخواطر أن تلتمس الأعذار للناس، فلا تسيء الظن بصديق تأخر عنك، ولا تحكم على شخص من موقف واحد، ولا تفسر كل تصرف بأسوأ الاحتمالات، فكم من العلاقات انكسرت بسبب سوء الظن، وكم من القلوب جُبرت حين وجد صاحبها من يحسن الظن به، ويعتذر له قبل أن يعتذر.

كان عبد الله بن المبارك رحمه الله يرى أن قضاء حوائج الناس من أعظم القربات، وكان يسعى إلى المحتاجين بنفسه، ويخفي إحسانه عنهم حتى لا يجرح مشاعرهم، وكان الحسن

البصري رحمه الله إذا رأى مهمومًا، جلس إليه، وخفف عنه، وكان يقول: "إن المؤمن مرآة أخيه"، فقد كان السلف يفرحون إذا استطاعوا أن يزيلوا همًّا عن مسلم، ويرون ذلك من أفضل الأعمال.

أيها المبارك، إذا أردت أن تجبر خاطر مسلم: ابدأ يومك بسؤال أحد أقاربك أو أصدقائك عن حاله، وإذا رأيت مهمومًا، فلا تمر به مرورًا عابرًا، وأكثر من الدعاء للناس بظهر الغيب، وامدح الخير الذي تراه في الآخرين، وسامح من أخطأ إذا كان في العفو جبر لقلبه وإصلاح له، واحرص على الهدية، ولو كانت يسيرة، ولا تحتقر أي معروف، فرب كلمة أنقذت إنسانًا من اليأس.

فيا صديقي، لا تبحث دائمًا عن الأعمال الكبيرة، فقد يكون أقرب طريق إلى الجنة كلمة قلتها لمهموم، أو دمعة مسحتها عن يتيم، أو ابتسامة رسمتها على وجه أرملة، أو رسالة أرسلتها إلى صديق يمر بظرف صعب، لذا اجعل لك في كل يوم أو أسبوع خاطرًا تجبره.

واعلم أن القلوب المكسورة لها دعوات صادقة، فقد تكون دعوة من قلب جبرته سببًا في توفيقك وسعادتك، وفتح أبواب الخير لك ولأولادك ولأسرتك.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الباب السابع

عبادات متفرقة

عبادات لا تحتاج إلى مال

قد يقف بعض الشباب والفتيات أمام أبواب الخير وهم يظنون أن المال هو مفتاحها، فإذا رأوا الأغنياء يبنون المساجد، ويحفرون الآبار، ويتصدقون بالأموال، قالوا في أنفسهم: ماذا نصنع ونحن لا نملك شيئًا؟، وهنا يقع الخطأ، لأن الله سبحانه لم يجعل أبواب الأجر حكرًا على الأغنياء، بل فتح لكل مسلم ومسلمة أبوابًا واسعة من العبادات التي لا تحتاج إلى دينار ولا درهم، وإنما تحتاج إلى قلب حي، ولسان صادق، ونفس محبة للخير، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تَحْقِرَنَّ من المعرُوفِ شيْئًا " رواه مسلم، فقد تكون كلمة واحدة، أو ابتسامة، أو دعوة، أو إصلاح بين اثنين، سببًا في رضا الله عن العبد ودخوله الجنة.

أيها الشباب، ومن رحمة الله بعباده أن جعل الأعمال اليسيرة تتضاعف أجورها إذا صدقت النية، ومنها:

أولًا: الابتسامة، وهي تعتبر رسالة محبة، ودواء للقلوب، ومفتاح للعلاقات الطيبة، وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقات فقال: " تبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ " رواه الترمذي، فكم من مهموم زال همه بابتسامة صادقة، وكم من غريب شعر بالألفة بسبب وجه بشوش، فلا تبخل على الناس بابتسامتك، فإنها لا تكلفك شيئًا، لكنها قد تدخل السرور على قلب مسلم.

ثانيًا: الدعاء بظهر الغيب، وهو من أعظم العبادات الخفية أن تدعو لأخيك وهو لا يعلم، قال صلى الله عليه وسلم: " دَعوةُ المَرءِ المُسلِمِ لأخيه بظَهرِ الغَيبِ مُستَجابةٌ، عِندَ رَأسِه مَلَكٌ موكَّلٌ، كُلَّما دَعا لأخيه بخَيرٍ قال المَلَكُ الموكَّلُ به: آمينَ، ولَكَ بِمِثلٍ " رواه مسلم، فأنت في دقائق معدودة تجمع بين الإحسان إلى غيرك، ونيل مثل ما دعوت به.

ثالثًا: ستر المسلم، فكل إنسان معرض للخطأ، ويجب أن يستره الناس، وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم بأجر عظيم لمن ستر على مسلم فقال: " ومَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَه اللهُ يَومَ القيامةِ " رواه البخاري، وليس المقصود ستر الجرائم التي يترتب على إخفائها ضرر عام، وإنما ستر الزلات التي يُرجى معها الإصلاح وعدم إشاعة الفضيحة.

رابعًا: جبر الخواطر، فجبر الخاطر قد يكون بكلمة، أو اتصال، أو زيارة، أو سؤال، أو مشاركة في همٍّ أو مصيبة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ " رواه الطبراني، فرب كلمة لطيفة تداوي قلبًا مكسورًا أكثر من هدية باهظة الثمن.

خامسًا: إفشاء السلام، فالسلام شعار الإسلام، وهو مفتاح المحبة بين المسلمين، قال صلى الله عليه وسلم: " أَفشوا السلامَ بينَكم " رواه مسلم، فالسلام دعاء، وألفة، وإحياء لسنة نبوية لا تكلف شيئًا.

سادسًا: المصافحة، والمصافحة الصادقة تزيد المحبة، وتمحو ما في القلوب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِرَ لهما قبلَ أن يفترقا" رواه أبو داود، فكم من قلوب عادت متآلفة بسبب مصافحة صادقة.

سابعًا: الكلمة الطيبة، فالكلمة الطيبة قد ترفع إنسانًا بعد أن كاد يسقط، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: " والكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقةٌ" رواه البخاري، فلا تحتقر كلمة تشجيع، أو ثناء صادق، أو مواساة، أو شكر، فإنها قد تغير حياة إنسان.

ثامنًا: العفو، فالعفو دليل قوة النفس، وليس ضعفًا، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: " وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا " رواه مسلم، فمن عفا عن الناس، عفا الله عنه.

تاسعًا: التغافل، فليس كل خطأ يستحق الوقوف عنده، ومن حسن العشرة أن يتغافل الإنسان عن الزلات اليسيرة، قال الإمام أحمد رحمه الله: "تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل"، فالتغافل يحفظ البيوت، ويصلح العلاقات، ويطفئ كثيرًا من أسباب النزاع.

عاشرًا: الإصلاح بين الناس، فكم من خصومة طالت سنوات، ثم أصلحها رجل بكلمة صادقة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء: ١١٤)، وقال سبحانه: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨)، فالإصلاح عبادة عظيمة لا تحتاج إلا إلى حكمة وإخلاص.

الحادي عشر: تعليم الجاهل، قد تعلم طفلًا سورة قصيرة، أو تشرح لصديق حُكمًا شرعيًا، أو تدل إنسانًا على عمل صالح، قال صلى الله عليه وسلم: " مَن دَلَّ على خَيرٍ فله مِثلُ أجرِ فاعِلِه " رواه مسلم، ورب كلمة علمتها لإنسان بقي أجرها يجري بعد موتك.

الثاني عشر: توقير الكبير، فاحترام كبار السن خلق نبوي، قال صلى الله عليه وسلم: "ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا " رواه أحمد، والتوقير يكون بالاحترام، والإنصات، والتقديم، والكلمة الطيبة، ومساعدتهم عند الحاجة.

الثالث عشر: رحمة الصغير، فمن علامات كمال الإيمان الرحمة بالصغار، قال صلى الله عليه وسلم: " مَن لا يَرحَمْ، لا يُرحَمْ " متفق عليه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الأطفال، ويمزح معهم، ويحملهم، ويخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي رحمة بأمه.

الرابع عشر: إزالة الهم عن المسلم، فكم من إنسان يحمل همًا أثقل قلبه، ينتظر من يواسيه أو يساعده أو يسمعه، قال صلى الله عليه وسلم: " من نفَّس عن مسلمٍ كربةً من كرَبِ الدُّنيا نفَّس اللهُ عنه كربةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ " رواه الترمذي، وقد تكون إزالة الهم بكلمة، أو دعاء، أو نصيحة، أو مساعدة، أو مشاركة وجدانية، وكلها لا تحتاج إلى مال، وإنما إلى قلب رحيم.

أيها الشاب، لا تقل: لا أملك مالًا، بل قل: كم أملك من أبواب الخير التي لم أطرقها بعد؟، فقد تدخل الجنة بابتسامة، أو بدعوة في جوف الليل، أو بستر مسلم، أو بجبر خاطر، أو بكلمة طيبة، أو بإصلاح بين متخاصمين، أو بإزالة هم عن أخيك، فأبواب

الخير ليست حكرًا على الأغنياء، وإنما هي مفتوحة لكل قلب يريد وجه الله، فابدأ من اليوم، واجعل لنفسك نصيبًا من هذه العبادات، واحتسبها عند الله، فما كان خالصًا له بقي أثره، وعظم أجره، وبارك الله في صاحبه.

يا أخي، ليس الغنيُّ من كثرت أمواله، وإنما الغنيُّ من كثرت أبواب الخير التي يسلكها إلى الله، فمن جعل يومه مليئًا بابتسامة صادقة، وكلمة طيبة، ورحمة بالناس، ودعاء في الخفاء، وإصلاح بين المتخاصمين، عاد في آخر يومه وقد جمع من الحسنات ما قد لا يجمعه صاحب المال الكثير إذا غفل عن الإخلاص واحتساب الأجر، فالسعيد من عرف أن طريق الجنة لا يُقاس بما يملك، وإنما بما يقدمه من خير، ولو كان يسيرًا في أعين الناس، عظيمًا عند الله.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

عبادات لا تستغرق خمس دقائق

يشتكي كثير من الشباب والفتيات من ضيق الوقت، وكثرة الدراسة، وضغوط العمل، والانشغال بالأجهزة الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي، حتى أصبح بعضهم يردد: "لا أجد وقتًا للعبادة"، ولو تأمل الإنسان لوجد أن الله سبحانه وتعالى من رحمته لم يجعل جميع أبواب الخير تحتاج إلى ساعات طويلة، بل فتح لعباده عبادات يسيرة لا تستغرق إلا دقائق معدودة، لكنها قد تكون سببًا في رفعة الدرجات، وتكفير السيئات، ونيل محبة الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْوَمُها وإن قَلَّ " رواه البخاري، فالميزان عند الله ليس بطول العمل، وإنما بصدق النية، ودوام الطاعة.

ومن أجمل ما يميز العبادات الخفية أنها يستطيع القيام بها الطالب، والموظف، ورب الأسرة، والمسافر، والمريض، والغني والفقير، بأقل الأوقات، ومنها:

أولًا: الاستغفار مائة مرة، والاستغفار طلب المغفرة من الله، وهو من أعظم أسباب محو الذنوب وراحة القلب، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المغفور له يكثر من الاستغفار، فقال: " واللهِ إنِّي لَأستَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليَومِ أكثَرَ مِن سَبعينَ مَرَّةً " رواه البخاري، فما أجمل أن تجعل خمس دقائق من يومك تردد فيها: "أستغفر الله وأتوب إليه" فقد تمحو بها ذنبًا، وترفع بها درجة.

ثانيًا: ركعتا الضحى، وركعتا الضحى من السنن العظيمة التي لا تستغرق إلا دقائق قليلة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يُصبِحُ على كُلِّ سُلامى مِن أحَدِكُم صَدَقةٌ؛ فكُلُّ تَسبيحةٍ صَدَقةٌ، وكُلُّ تَحميدةٍ صَدَقةٌ، وكُلُّ تَهليلةٍ صَدَقةٌ، وكُلُّ تَكبيرةٍ صَدَقةٌ، وأمرٌ بالمَعروفِ صَدَقةٌ، ونَهيٌ عَنِ المُنكَرِ صَدَقةٌ، ويُجزِئُ مِن ذلك رَكعَتانِ يَركَعُهما مِنَ الضُّحى" رواه مسلم.

ثالثًا: أذكار الصباح والمساء، والأذكار حصن للمؤمن، تحفظه بإذن الله من الشرور، وتملأ قلبه طمأنينة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحافظ على أذكار الصباح والمساء ويحث أصحابه عليها.

رابعًا: قراءة صفحة من القرآن، قد يظن البعض أن ختم القرآن يحتاج إلى وقت طويل، لكنه يغفل عن أن صفحة واحدة قد تستغرق دقيقتين أو ثلاثًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: " منْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها " رواه الترمذي.

خامسًا: الاتصال بالوالدين، قد يكون هذا الاتصال والذي لا يتجاوز دقيقتين سببًا في إدخال السرور على قلب والديك، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، وقد يكون هذا الاتصال أحب إليهما من كثير من الهدايا.

سادسًا: رسالة صلة رحم، فكم من قريب ينتظر رسالة اهتمام أو سؤال اطمئنان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَن سَرَّه أن يُبسَطَ له في رِزقِه، أو يُنسَأَ له في أثَرِه، فليَصِلْ رَحِمَه " متفق عليه، ورب رسالة قصيرة تعيد المودة بعد انقطاع طويل.

سابعًا: الصدقة الإلكترونية، فقد يسر الله في هذا العصر وسائل متعددة للتبرع عبر التطبيقات والمنصات الموثوقة، فلا يحتاج الإنسان إلى أكثر من دقيقة ليشارك في بناء مسجد، أو كفالة يتيم، أو إغاثة محتاج، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (البقرة: ٢٤٥)، وقيمة الصدقة عند الله ليست بكثرتها، وإنما بإخلاص صاحبها.

ثامنًا: الدعاء لمسلم، فالدعاء بظهر الغيب من أعظم العبادات الخفية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما مِن عَبدٍ مُسلِمٍ يَدعو لأخيه بظَهرِ الغَيبِ، إلَّا قال المَلَكُ: ولَكَ بمِثلٍ" رواه مسلم، فخمس دقائق تدعو فيها لنفسك ولأهلك وأصحابك والمسلمين قد تعود عليك بمثل ما دعوت لهم.

تاسعًا: تنظيف المسجد، قد يستغرق رفع ورقة، أو ترتيب مصحف، أو تنظيف موضع في المسجد دقائق قليلة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن إزالة الأذى عن المسجد من الأعمال الصالحة، بل كان يسأل عن المرأة التي كانت تقم المسجد حين فقدها، والمساجد بيوت الله، وتعظيمها من تعظيم شعائر الله.

عاشرًا: إزالة الأذى، كإزالة حجر، أو زجاج، أو شيء يؤذي المارة عبادة عظيمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ،

وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ " رواه مسلم، ورب عمل صغير أنقذ إنسانًا من أذى أو حادث، فكان لك أجره عند الله.

الحادي عشر: صلاة الوتر قبل النوم، ومن أجمل ما يختم به المسلم يومه ركعتان خفيفتان ثم يوتر بواحدة يناجي فيها ربه، ويستغفره، ويسأله الثبات، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحافظ على صلاة الوتر، ويحث على اغتنام أوقات السكون والخلوة مع الله، فما أجمل أن يكون آخر عهدك بالدنيا كل ليلة سجودًا لله، قال صلى الله عليه وسلم: " يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْتِرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ " رواه أبوداود.

الثاني عشر: محاسبة النفس، وهي أن يقف الإنسان مع نفسه دقائق يسألها: ماذا قدمت اليوم؟، وهل أسأت لأحد؟، وهل استغفرت عن ذنب كذا وكذا؟، وما العمل الذي أتقرب به غدًا؟، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر: ١٨)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم"

أيها الشاب، لا تقل: ليس عندي وقت، فإن بين أوقات الدراسة، والعمل، والتنقل، وانتظار المواعيد، والجلوس في السيارة، دقائق كثيرة تمر بلا فائدة، ولو استثمرت خمس دقائق في ذكر الله، أو قراءة صفحة من القرآن، أو الدعاء لوالديك، أو إرسال رسالة صلة رحم، أو إزالة أذى عن الطريق، أو محاسبة نفسك قبل النوم، لتحولت هذه الدقائق إلى كنوز من الحسنات.

إن الناجحين في علاقتهم مع الله ليسوا بالضرورة أصحاب الساعات الطويلة، وإنما هم أصحاب القلوب الحية التي تغتنم كل فرصة للطاعة، ولو كانت يسيرة، فرب خمس دقائق ترفعك درجات، وتمحو عنك سيئات، وتكون سببًا في حسن الخاتمة، إذا وافقت قلبًا مخلصًا، وعملًا صادقًا، واحتسابًا للأجر عند الله.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الباب الثامن

صناعة العبادات الخفية

رحلة عملية لصناعة عبادة الخفاء

ليس المقصود من هذه الرحلة أن تزيد أعمالك الظاهرة أمام الناس، وإنما أن تبني بينك وبين الله بابًا خاصًا لا يطلع عليه أحد، فالعبادة الخفية ليست عملًا عظيمًا في حجمه، وإنما عظيمة بإخلاص صاحبها، ورب ركعتين في ظلمة الليل، أو دمعة من خشية الله، أو صدقة لا يعلم بها أحد، كانت سببًا في نجاة صاحبها يوم القيامة، ولذلك كان السلف الصالح يحرصون أن يكون لكل واحد منهم خبيئة صالحة لا يعلمها إلا الله، وأنت في هذه الرحلة ستكون قد صنعت لنفسك عادة إيمانية تبقى معك سنوات طويلة بإذن الله.

أيها الشاب، قبل أن تبدأ، اتفق مع نفسك على خمسة أمور:

١- لا تخبر أحدًا بما ستعمل، حتى أقرب الناس إليك.

٢- اجعل العمل لله وحده، فلا تنتظر شكرًا ولا ثناء.

٣- إذا فاتك يوم فلا تيأس، ثم واصل مباشرة.

٤- اختر وقتًا ثابتًا كل يوم، ولو عشر دقائق.

٥- لا تكثر الأعمال، فالقليل الدائم أحب إلى الله.

أيها المبارك، وحتى نبدأ رحلتنا، سنوزع رحلتنا على عدة مراحل، كل مرحلة أسبوع:

المرحلة الأولى: إصلاح القلب، وحتى نحقق إصلاح القلب: اجلس عشر دقائق وحدك، ثم اسأل نفسك: ما العمل الذي أريد أن يكون بيني وبين الله حتى أموت؟، ثم اكتب الإجابة، ولا يطلع عليها أحد، بعدها صل ركعتين، واجعلهما بداية العبادة، ثم استغفر الله مائة مرة بهدوء، مع حضور القلب، وبعدها اقرأ جزءًا من القرآن، ثم ادعُ لعشرة أشخاص بظهر الغيب، وتصدق بأي مبلغ سرًا، ولو كان قليلًا، ثم اجلس نصف ساعة مع نفسك، ثم قيّم المرحلة.

المرحلة الثانية: صناعة العبادات في الخلوات، والمطلوب: كل يوم تضيف عبادة جديدة، مثل: قيام عشر دقائق، سجدة طويلة، دعاء في السحر، أذكار طويلة، حفظ حديث، تلاوة آيات بتدبر، محاسبة النفس، مع تكرار المرحلة الأولى.

المرحلة الثالثة: اعمل عبادة خفية مع الناس، مثل: إدخال السرور على فقير، أو مساعدة محتاج، أو إصلاح بين اثنين، أو إرسال هدية دون اسم، أو قضاء حاجة مسلم، أو زيارة مريض، أو تفقد كبير سن، مع تكرار المراحل السابقة.

المرحلة الرابعة: ترك المعاصي الخفية، وهذا من أعظم العبادات، حاول كل يوم أن تجاهد نفسك في ترك شيء، كغض البصر، أو ترك مقطع محرم، أو ترك الغيبة، أو كظم الغيظ، أو العفو، أو حفظ اللسان، أو ترك الرياء، مع تكرار المراحل السابقة.

المرحلة الأخيرة: تثبيت العبادة، وفيها: اختر العبادات التي تناسبك، واجعلها تستمر معك مدى الحياة، ثم احذف من هاتفك كل ما يضعف علاقتك بالله، ولا تنس أن تسامح كل من أساء إليك، ثم اكتب وصية لنفسك، ثم صلِّ ركعتين، واسأل الله القبول، ثم اختم البرنامج وهذه الرحلة بدعاء طويل، ادع الله فيه أن يوفقك لصناعة خبيئة صالحة في نفسك، وأن يثبتك عليها، وأن تلقى الله بها، وأن يتقبلها منك.

أخي الشاب، وأختي الفاضلة، هذه الرحلة لن تجعلك من أكثر الناس عبادة، ولكنك – بإذن الله – أصبحت تملك كنزًا لا يراه أحد، أصبحت بينك وبين الله علاقة خاصة، فإذا أظلمت الدنيا عليك، لجأت إليها، وإذا ضاقت الحياة، احتميت بها، وإذا وقفت بين يدي الله يوم القيامة، وجدت أعمالًا لم يكن يعلمها أحد غيره، فلا تفرط في هذه الخبيئة، فقد تكون هي العمل الذي يفتح لك أبواب الرحمة، ويرجح ميزانك، ويكون سببًا في نجاتك، واجعل شعارك دائمًا: "اللهم ارزقني عملًا خالصًا لا يطلع عليه أحد سواك".

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الحرص على حسن الخاتمة

إذا سألت شابًا أو فتاة: ما أعظم أمنية تتمناها في حياتك؟، فسيجيب بعضهم: النجاح، أو الوظيفة، أو الزواج، أو المال، أو الشهرة، وكلها أمنيات مباحة، لكنها تبقى مؤقتة، تنتهي بانتهاء الدنيا، أما المؤمن الصادق، فإن أعظم أمنية يحملها في قلبه هي أن يختم الله له بخير، وأن يلقاه وهو راضٍ عنه، ولذلك لم يكن السلف يخافون من قلة الأعمال بقدر خوفهم من سوء الخاتمة، لأن العبرة ليست بكثرة البدايات، وإنما بحسن النهايات.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " وإنَّما الأعمالُ بالخواتيمِ " رواه البخاري، فقد يعيش الإنسان سنوات طويلة في الطاعة، ثم يزيغ قلبه في آخر عمره، وقد يعيش زمنًا في الغفلة، ثم يتوب الله عليه فيختم له بخير، ولهذا كان المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء، يجتهد في العمل، ويسأل الله الثبات حتى آخر لحظة.

أيها الشباب، إن الحرص على حسن الخاتمة ليس مجرد أمنية ترددها الألسنة، بل هو عبادة قلبية تدفع المسلم إلى إصلاح نفسه كل يوم، فهو يراقب قلبه، ويجدد توبته، ويصحح نيته، ويبتعد عن الظلم، ويحفظ لسانه، ويكثر من الأعمال الخفية التي لا يعلمها إلا الله، لأنه يعلم أن هذه الأعمال قد تكون سببًا في ثباته عند الموت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، فالله أمرنا أن نحيا على الإسلام حتى يكون الموت خاتمة لهذه الحياة المباركة.

يا أخي، لا يمكن أن تكون الخاتمة حسنة إلا إذا كان الأساس صحيحًا، وأعظم ما يلقى به العبد ربه هو التوحيد الخالص، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَن ماتَ وهو يَعلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ " رواه أحمد، ولهذا كان الأنبياء يوصون أبناءهم بالتوحيد حتى آخر لحظة من حياتهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨)، فاحرص أيها الشاب على تعلم العقيدة الصحيحة، وتعظيم الله، وإخلاص العبادة له وحده، فإنها أعظم زاد ليوم الرحيل.

أيها المبارك، ليس المقصود الاستعداد للموت بالإكثار من الصلاة والصيام فقط، بل كذلك بإصلاح التعامل مع الناس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا " رواه أبو داود، وقال أيضًا: " إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ " رواه أبو داود، فكم من إنسان أكثر من النوافل، لكنه ظلم الناس، أو آذاهم، أو قطع رحمه، أو أساء إلى والديه، ولهذا كان السلف يعدون حسن الخلق من أعظم أسباب حسن الخاتمة.

أيها الشاب، ومن أجمل ما يعين على حسن الخاتمة أن يكون للعبد عبادة خفية بينه وبين الله، من قيام ليل لا يطلع عليه أحد، أو صدقة سر، أو دعاء في السحر، أو دمعة من خشية الله، أو ستر لمسلم، أو إصلاح بين الناس، أو جبر لخواطر المحتاجين، أو سلامة للصدر، أو عفو عند المقدرة، فرب عمل صغير أخفيته عن الناس، يكون أعظم عند الله

من أعمال كثيرة اشتهرت بين الخلق، ولذلك كان السلف يحرصون على أن يكون لكل واحد منهم عمل لا يعلمه إلا الله.

يا أخي، كان سفيان الثوري رحمه الله كثير البكاء، ويقول: "أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت"، فلم يكن يخاف الفقر، ولا المرض، ولا فقدان الدنيا، وإنما كان يخاف أن يختم له بغير ما يحب، وكان الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته يردد: "لا بعد... لا بعد" فلما سئل عن ذلك قال: "إن الشيطان يقول لي: فتَّني يا أحمد، فأقول: لا، حتى أموت على الإيمان"، إنها صورة تبين أن المؤمن لا يغتر بعمله، بل يظل يسأل الله الثبات إلى آخر نفس، فكانوا يكثرون من الدعاء أن يثبتهم الله، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

أيها الغالي، كم من شاب خرج من بيته ولم يعد، وكم من فتاة نامت ولم تستيقظ، وكم من صحيح أصبح مريضًا، وكم من إنسان كان يخطط لسنوات طويلة، فجاءه الموت قبل أن يكمل يومه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان: ٣٤)، فليس المطلوب أن نخاف الموت، وإنما أن نستعد له.

أيها المبارك، إذا أردت أن تستعد للقاء الله، حافظ على التوحيد والعقيدة الصحيحة، وأخلص النية في جميع أعمالك، وحافظ على الصلوات، وأكثر من ذكر الله والاستغفار، واجعل لك خبيئة لا يعلمها إلا الله، وأصلح علاقتك بوالديك، ولا تنم وفي قلبك حقد

على أحد، وبادر إلى التوبة إذا أذنبت، واحفظ لسانك من الغيبة والكذب، وأكثر من الدعاء: "اللهم أحسن خاتمتي".

أيها الشباب، وأيتها الفتيات، تذكروا دائمًا أن الدنيا مرحلة قصيرة، وأن أجمل لحظة في حياة المؤمن ليست يوم تخرجه، ولا يوم زواجه، ولا يوم نجاحه، وإنما اليوم الذي يلقى فيه ربه وهو راضٍ عنه، فاجعلوا كل عبادة خفية في هذا الكتاب خطوة نحو حسن الخاتمة، فإذا ابتسمت في وجه أخيك، وإذا أصلحت بين متخاصمين، وإذا سترت مسلمًا، أو جبرت خاطرًا، أو دعوت بظهر الغيب، أو قمت في الليل، أو بكيت من خشية الله، فاحتسب أن تكون هذه الأعمال سببًا في أن يثبتك الله عند الموت، ولا تنسوا أن حسن الخاتمة ليس ثمرة لحظة واحدة، بل هو حصاد عمرٍ امتلأ بالإيمان، والإخلاص، والتوبة، وحسن الخلق، ومراقبة الله في السر والعلن.

- **وقفة مع النفس**

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

أخطاء تفسد العبادات الخفية

لقد قرأت في هذا الكتاب صورًا كثيرة من العبادات الخفية؛ من صدقة السر، والإصلاح بين الناس، وجبر الخواطر، والدعاء بظهر الغيب، والخبيئة الصالحة، وغير ذلك، لكن اعلم أن العمل الصالح لا يكفي وحده، بل يحتاج إلى حماية، فكم من إنسان تعب سنوات في الطاعة، ثم أفسدها بآفة من آفات القلوب أو اللسان، ولهذا كان السلف يهتمون بحفظ الأعمال بعد فعلها كما يهتمون بفعلها، وفيما يأتي أهم الأخطاء التي تفسد العبادات الخفية أو تنقص أجرها.

أولًا: الرياء الخفي، وهو أخطر الآفات؛ لأن صاحبه قد لا يشعر به، فالإنسان يبدأ العمل لله، ثم يفرح إذا علم الناس بعمله، أو يحزن إذا لم يمدحوه، أو يترك بعض الطاعات إذا غاب الناس، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ " رواه أحمد، وكان أيوب السختياني يقول: "ما صدق عبدٌ قط، فأحب الشهرة"، ولهذا كان السلف يخفون أعمالهم؛ خوفًا من دخول الرياء إليها.

ثانيًا: العُجب بالنفس، قد يعمل الإنسان عملًا صالحًا، ثم يبدأ ينظر إلى نفسه بإعجاب، ويرى أنه أفضل من غيره، وهذه آفة خطيرة؛ لأنها قد تمحو بركة العمل، قال الله تعالى:

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لو لم تكونوا تُذْنِبونَ، لخِفْتُ عليكم ما هو أكبرُ من ذلِكَ؛ العُجْبُ العُجْبُ " رواه البزار، وكان ابن المبارك يقول: "رب معصية أورثت ذلًا وانكسارًا، خير من طاعة أورثت عجبًا واستكبارًا" فالمؤمن كلما كثرت طاعته، ازداد تواضعًا.

ثالثًا: المنُّ والأذى، قد يتصدق الإنسان سرًا، ثم يذكّر الفقير بعطائه كلما التقاه، أو يصل رحمه، ثم يمنّ عليهم بإحسانه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤)، فالصدقة ليست مالًا فقط، بل أخلاق أيضًا، فقد يكون جرح المشاعر أشد من ألم الفقر، وكان بعض السلف يقول: "إخفاء الإحسان من تمام الإحسان".

رابعًا: احتقار الأعمال الصغيرة، وهو من أخطر مداخل الشيطان أن يقنعك بأن العمل الصغير لا قيمة له، فتترك الابتسامة، وتؤجل الذكر، ولا تدعو لأخيك، ولا تزيل الأذى عن الطريق، ولا تتصدق بريال، بينما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تَحْقِرَنَّ من المعرُوفِ شيْئًا، ولوْ أنْ تلْقَى أخاكَ بوجْهٍ طلْقٍ " رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: "اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تمرةٍ فإنْ لم تجِدوا فبكلمةٍ طيِّبةٍ " متفق عليه، فرب عمل صغير عظمته النية.

خامسًا: استعجال الثمرة، فبعض الشباب يقول: دعوت فلم أر أثرًا، وأصلحت بين الناس فلم يتغيروا، وتصدقت ولم أشعر بالراحة، وقمت الليل أيامًا ولم يتبدل حالي، وهذا

من مداخل الشيطان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يُستَجابُ لأحَدِكُم ما لم يَعجَلْ، يقولُ: دَعَوتُ فلَم يُستَجَبْ لي " متفق عليه، فالله لا يضيع عملًا صالحًا، وقد ترى أثر العبادة بعد سنوات، أو يدخرها الله لك يوم القيامة.

سادسًا: اليأس بعد الذنب، قد يقع الشاب أو الفتاة في ذنب، فيقول: لا أستحق قيام الليل، أو لا أستحق الدعاء، أو لا أستحق قراءة القرآن، وهذا من أعظم مكايد الشيطان، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣)، فالذنب لا يمنعك من العبادة، بل يدعوك إلى مزيد من التوبة والعمل الصالح، وكان الحسن البصري يقول: "إن المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق، والمنافق يعمل بالمعاصي وهو آمن".

سابعًا: احتقار الناس بسبب الطاعة، فقد يحافظ الإنسان على عباداته الخفية، ثم يبدأ ينظر إلى العصاة باحتقار، وهذا مخالف لهدي الأنبياء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بحَسبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أن يَحقِرَ أخاه المُسلِمَ " رواه مسلم، فكم من عاصٍ تاب، فصار خيرًا ممن كان يحتقره.

ثامنًا: الانقطاع بعد النشاط، فمن الناس من ينشط في رمضان، أو في بداية الالتزام، ثم يترك كل شيء، بينما أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلت، كما قال صلى الله عليه وسلم: " أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْوَمُها وإن قَلَّ " متفق عليه، وكانت عائشة رضي الله عنها

تقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كان عَمَلُه ديمةً " رواه البخاري، أي: دائمًا ومستمرًا، فالعبادات الخفية ليست مشروع أسبوع، بل مشروع عمر.

تاسعًا: الانشغال بعيوب الناس وترك إصلاح النفس، فبعض الناس يحصي عيوب الآخرين، وينتقد تقصيرهم، وينسى قلبه، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤)، وكان السلف يقولون: "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس".

عاشرًا: الغفلة عن الدعاء بالقبول، فقد كان السلف بعد الطاعة يخافون ألا تُقبل، قال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعد بنائهما الكعبة: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧)، تأمل، يبنيان بيت الله، ثم يخافان ألا يُقبل منهما، فكيف بنا نحن؟.

فيا ولدي، ليس الصعب أن تبدأ العبادة، وإنما الصعب أن تحافظ عليها حتى تلقى الله، فاحذر من الآفات التي تدخل إلى القلب في خفاء؛ فإنها قد تفسد أعمالًا عظيمة دون أن يشعر صاحبها.

واجعل همك دائمًا قبول العمل لا كثرة العمل، فإذا حفظت قلبك من الرياء، ولسانك من المنِّ والأذى، ونفسك من العجب، ويأسك من رحمة الله، وألزمتها دوام الطاعة، فقد حافظت على كنزٍ عظيم من كنوز الآخرة.

- وقفة مع النفس

س/ ما أبرز ما تعلمته من هذا الدرس؟

س/ كيف أطبقه في حياتي؟

س/ ما العمل الذي سأبدأ به من اليوم؟

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي علَّم أمته الإخلاص، ورباها على مراقبة الله في السر والعلن، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد...

فقد وصلنا إلى نهاية هذا الكتاب، لكنني أرجو من الله ألا تكون هذه نهاية رحلتك مع العبادات الخفية، بل تكون بدايتها، فلقد حاولت في هذه الصفحات أن أذكِّر نفسي وإياك بأن الطريق إلى الله لا يقتصر على العبادات الظاهرة التي يراها الناس، وإنما يمتد إلى أعمال عظيمة قد لا يراها إلا الله سبحانه وتعالى، وهي أعمال قد تكون سببًا في نجاتنا يوم نلقاه.

إن هذا الكتاب لا يدعوك إلى كثرة المعلومات، وإنما يدعوك إلى كثرة العمل، ولا يدعوك إلى الإعجاب بما تقرأ، وإنما إلى تحويل ما تقرؤه إلى واقع تعيشه في بيتك، وعملك، ومدرستك، وجامعتك، ومع أهلك وأصدقائك، وفي خلواتك قبل جلواتك.

أيها الشاب، وأيتها الفتاة، لا تجعل هذا الكتاب صفحة تطويها بعد الفراغ من قراءتها، بل اجعله رفيقًا تعود إليه بين حين وآخر، فتراجع نفسك، وتجدد نيتك، وتختار في كل أسبوع عبادة خفية جديدة تتقرب بها إلى الله.

فلا تحتقر شيئًا من الخير؛ فإنك لا تدري أي عمل يكون سببًا في رضا الله عنك، وتذكر دائمًا أن الله لا ينظر إلى كثرة الأعمال بقدر ما ينظر إلى صدق القلوب وإخلاص النيات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدْوَمُها وإن قَلَّ " متفق عليه.

فلا تحمل نفسك ما لا تطيق، ولكن الزم بابًا من أبواب الخير، وداوم عليه، وأضف إليه بابًا آخر، حتى يصبح قلبك عامرًا بطاعة الله، وحياتك مليئة بالأعمال الصالحة التي لا يعلم بها إلا هو.

ولا تنس أن من أجمل ما تختم به كل يوم أن تسأل نفسك: ماذا قدمت اليوم لله؟، وهل جبرت خاطر أحد؟، وهل دعوت لمسلم بظهر الغيب؟، وهل سترت عيبًا؟، وهل سامحت من أساء إليك؟، وهل كانت لك خلوة مع القرآن أو الذكر أو الاستغفار؟، وهل لك اليوم عبادة لا يعلم بها أحد إلا الله؟، فإذا وجدت جوابًا يسرُّك، فاحمد الله واسأله القبول، وإن وجدت تقصيرًا، فلا تيأس، فإن باب التوبة مفتوح، وربك كريم يحب التوابين.

وأوصيك قبل أن تغلق هذا الكتاب أن تجعل لنفسك عهدًا مع الله، تكتب فيه عبادة خفية تلتزم بها ما حييت، لا يطلع عليها أحد، ولا تنتظر عليها ثناءً من أحد، وإنما تجعلها زادًا لك يوم تقف بين يدي الله، فلعلها تكون العمل الذي يثقِّل ميزانك، أو يمحو خطيئتك، أو يرفع درجتك، أو يفرِّج كربتك، أو تكون سببًا في حسن خاتمتك.

أسأل الله الكريم، بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الشباب والفتيات، وأن يوقظ به القلوب الغافلة، ويعين به على تزكية النفوس، ويغرس حب الإخلاص، ومراقبة الله، والحرص على الأعمال الصالحة في السر والعلن.

اللهم اجعل لنا من كل عبادة خفية نورًا في الدنيا، وأنسًا في القبر، وثقلًا في الميزان، وظلًا يوم لا ظل إلا ظلك، وارزقنا قلوبًا مخلصة، وأعمالًا صالحة، وألسنةً ذاكرة، ونفوسًا مطمئنة، وخاتمةً حسنة، واجعل آخر كلامنا من الدنيا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوكم ،،،

عدنان سلمان الدريويش

المستشار الأسري في جمعية التنمية الأسرية بالأحساء

ومركز الطمأنينة بجمعية شمل في المنطقة الشرقية

المراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م، ط٣، تحقيق د.مصطفى ديب البغا.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود، دار الفكر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، بشار معروف، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٦.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- سنن النسائي، أبوعبدالرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢١ .
- كتاب الزهد، الامام احمد ابن حنبل، تحقيق عادل مرشد المقدسي، دار الفاروق.

- كتاب المعجم الكبير، الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١٥هـ.
- كتاب مسند البزار، أبوبكر أحمد البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩م.
- كتاب سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
- كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، مطبعة السعادة مصر، ١٣٩٤هـ.
- كتاب صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ.
- كتاب البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٨هـ.
- السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة البابي، مصر، ١٣٧٥هـ.

دليل تربوي عملي لإحياء القلب وتهذيب النفس بأعمال لا يراها إلا الله

عدنان بن سلمان الدريويش